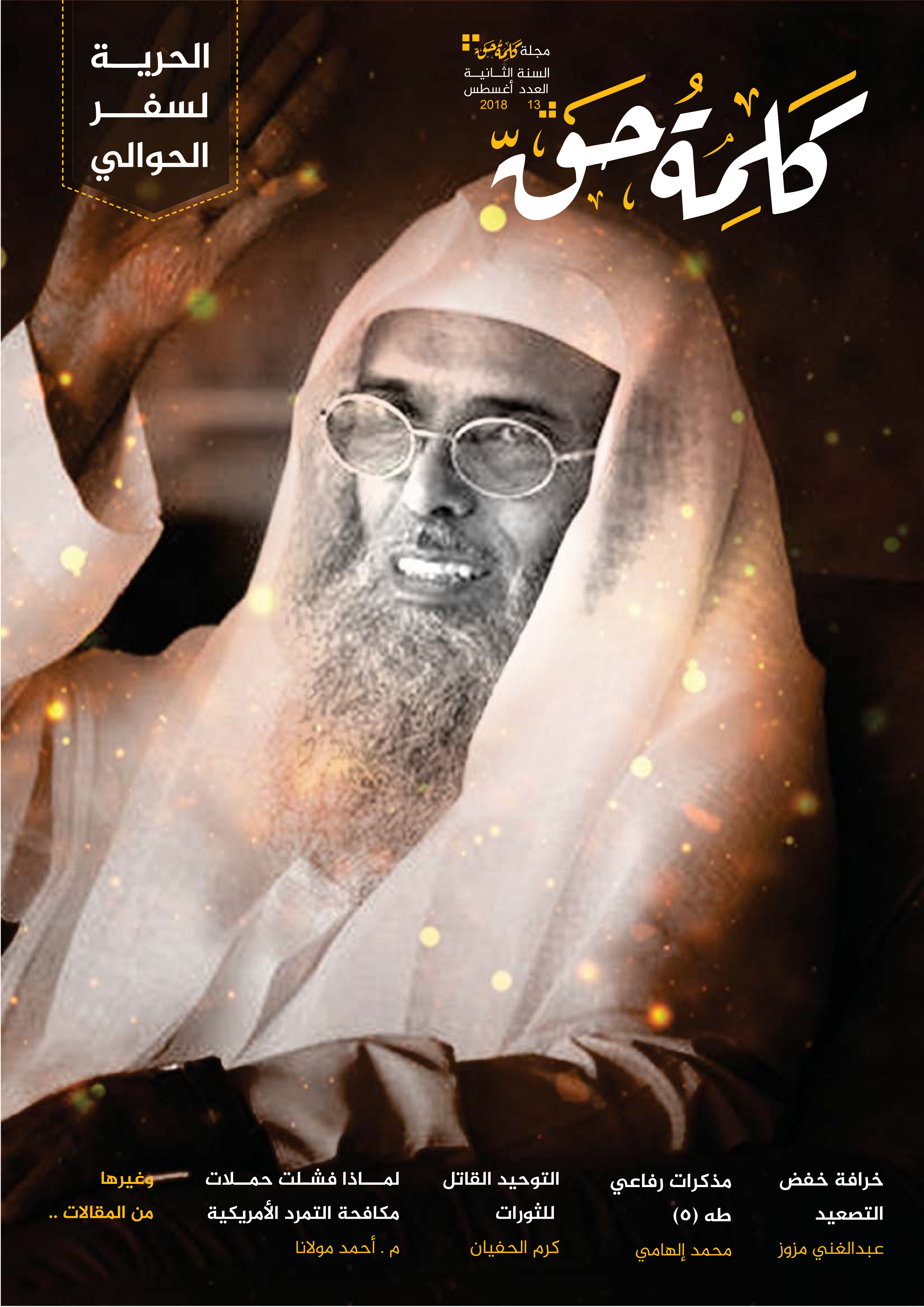


مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 13 أغسطس 2018
كَلِمَةُ حَق
الحرية لسفر الحوالي
خرافة خفض التصعيد
عبدالغني مزوز
مذكرات رفاعي طه (٥)
محمد إلهامي
التوحيد القاتل للثورات
كرم الحفيان
لماذا فشلت حملات مكافحة التمرد الأمريكية
م . أحمد مولانا
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

الثالث عشر ، أغسطس 2018





دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

الافتتاحية : عزائم العظماء محمد إلهامي	٣
خرافة خفض التصعيد عبدالغني مزوز	٨
لماذا فشلت حملات مكافحة التمرد الأمريكية م.أحمد مولانا	١٥
التوحيد القاتل للثورات كرم الحفيان	٢١
فاعلية قطع رأس القيادة في حملات مكافحة التمرد مركز حازم	٢٥
مذكرات رفاعي طه (5) محمد إلهامي	٣٠
كيف تبني تنظيما ثوريا (1) د.عمرو عادل	٣٥
قصيدة " زيِّنت جيدَك بالمشانق " أحمد والي	٤١
مفهوم الجهاد الشرعي سفر الحوالي	٤٣
القوة في السياسة الشرعية (3) د. وصفي عاشور أبو زيد	٥٣
الأكذوبة الكبرى (2) د. عطية عدلان	٦٣
عن امرأة هزمت التعب لمى خاطر	٦٧
الحق والوعد في فلسطين عطية صقر	٧٠
دروس من بلاد الأفغان (1) حامد عبدالعظيم	٧٢

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية..
عزائم العظماء

محمد إلهامي

على قدر أهل العزم تأتي العزائم .. وتأتــي علـى قـدر الكرام المكـارم
وتعظم في عين الصغير صغارها .. وتصغر في عين العظيم العظائم

هكذا قال المتنبي..

"لا أرى مغادرة هذه البلاد مهما لقيت من الأذى، وأرجو أن يصبرني االله عليه، ولست بأفضل ممن نُشروا بالمناشير، ومُشطوا بأمشاط الحديد، ومع أنني آخذ نفسي بالعزيمة، وأنصح بها كل قادر، ولا اعتبار عندي بما يقال أو يُكْتَب بالإكراه، لا أنكر على من أخذ نفسه بالرخصة... وأضرع إلى االله أن يثبتني على الحق دائما، ويعينني على نفسي وشيطاني".

وهكذا قال الشيخ سفر الحوالي..

هكذا قاله في كتابه الأخير "المسلمون والحضارة الغربية" الذي طاشت له عقول آل سعود فاعتقلوا الشيخ وأولاده وإخوته، وبهذا الكتاب اتخذ الشيخ لنفسه موضعاً في سلسلة العظماء الآخذين بالعزيمة، فقال في كتابه هذا ما لا يجرؤ أغلب الناس أن يتفوه به من مأمنه خوفاً من بطش نظام السعودية، لم يمنعه من هذا أنه في الشيخوخة وأنه في المرض وأنه بين أيدي الطغاة المجرمين الذين لا يتورعون عن البطش بالساكتين فكيف يفعلون بالمتكلمين الذين يُسمعونهم ما يكرهون؟!

وبمثل هذا العزم تأتي العزائم، فإن ثمن السيادة هجر الوسادة، وقد قال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ ... الجودُ يُفقر والإقدام قتَّال

وتلك السلسلة الذهبية من الصادعين بالحق في وجه الطغاة، الطامحين لمنزلة سيد الشهداء، إنما هي سلسلة طويلة موغلة في أيام تاريخنا، انتظم فيها من نُشِروا بالمناشير وقُرِّضوا بالمقاريض وألقوا في الأخدود وافترستهم السياط ووسائل التعذيب حتى تبقى كلمة الله واضحة ساطعة كما نزلت من السماء، وتلك مهمة العلماء العدول الذين يحملون الأمانة حقاً، فينفون عن هذا العلم ما يُدخله فيه عُبَّاد السلاطين وأتباع الشهوات وأهل الضلالات.

ولأنها مكانة سامقة فلا يحوزها إلا الأفذاذ النادرون، أولئك الذين ذاقوا مشقة تحصيل العلم **أولاً**، ومشقة فهم الواقع **ثانياً**، ثم مشقة مصادمة الجبارين **ثالثاً**.. فأما عامة المنتسبين إلى العلم فإما ارتضوا من هذا بمشقة أو مشقتيْن فسكتوا وتحايلوا وتجنبوا المشقة الثالثة التي هي ثمرة كل ما فات، وإما جعلوا علمهم في خدمة دنيا غيرهم، فحطُّوا بهذا من شأن أنفسهم ومن شأن العلم الذي حملوه، حتى قال فيهم أبو الحسن الجرجاني قصيدته السائرة الباهرة التي منها:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهمُ هان عندهم ... ومن أكْرَمَتْه عزة النفس أُكْرِما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمعٌ، صيَّرْته لي سُلَّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهْجَتي ... لأخدمَ من لاقيتُ، لكن لأُخْدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه، فهان، ودنسُّوا ... مُحيَّاه بالأطماع حتى تجهما



ولقد جاءني خبر اعتقال الشيخ سفر الحوالي فلاح لي وقتها خبر الشيخ محمد عليش، شيخ المالكية في مصر زمن الخديوي توفيق، وشيخ الثورة العرابية، وشيخ الأزهر على الحقيقة، وصاحب فتوى خلع الخديوي وعصيانه لتحالفه مع الإنجليز، وهو الرجل الذي ألهب الأزهر فأشعله وجعل شيوخه وطلبته في صفِّها، حتى ما اجترأ في ذلك الزمن أن يخالف أحدٌ منهم إلا أربعة ثم صاروا واحداً، وكان صاحب خطابة وفصاحة وهيبة وجلال، جدَّد موقف شيوخ الأزهر العظام من أهل الجهاد والتحريض عليه.. وقد وُصِف بأنه صنو الشوكاني باليمن وكنون بالمغرب، وله مؤلفات عديدة أشهرها عند المالكية شرحه "منح الجليل شرح مختصر خليل" وهو مطبوع في تسع مجلدات.

أقول: ذكرني اعتقال الشيخ سفر على هذه الهيئة بالشيخ عليش رحمه الله وقدس روحه، وذلك أن الرجليْن تشابها في أمورهما، فلقد كان الشيخ عليش في كهولته وهو يجابه الخديوي الذي نزل لمناصرته الإنجليز بأساطيلهم وجيوشهم إذ كان في الثمانين من عمره، ثم إنهم حين احتلوا البلاد وانتصروا اعتقلوه من بيته محمولاً من شدة ما هو فيه من المرض، ثم إنهم اعتقلوا معه ولده عبد الرحمن أيضاً، ثم إنهم اعتقلوه في نفس هذه الأيام تقريباً، في مطلع شهر ذي القعدة (١٢٩٩ هـ).

وقد قيل له: تملق الخديوي فأنشد يقول:

الزم بــاب ربــك ... واترك كل دون
واسأله السلامة ... من دار الفتون
لا تكثـر لهمــك ... مـا قُـدِّر يكون

وخُتِم له بالحسنى إذ توفي في سجنه ليلة يوم عرفة، ومنع الإنجليز من حمل جثمانه إلى البيت نكاية فيه، ثم إنهم عاقبوا ولده عبد الرحمن بالنفي خمس سنوات خارج مصر [١] .

وإنا لنسأل الله السلامة والعافية والعمر المديد للشيخ سفر الحوالي، ونسأله أن يرى بعينه ما أمَّل من تغير الحال في بلاد الحرمين وزوال ملك الطغاة المتجبرين المجرمين.

***

إن شأن المتنبي عجيب، ما إن يلتمس المرء معنى إلا ويجد منه في شعره شيئاً يكفيه.. ونحن الآن عند معناه الذي رثا به أم سيف الدولة الحمداني فقال بيته الشهير الذائع الصيت:

ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخر للهلال
وأفجع من فقدنا: من وجدنا ... قبيل الفقْد مفقود المثال


لمى خاطر

ومناسبة هذا الكلام أنه في أثناء التحضيرات الأخيرة للمجلة طالعنا خبر اعتقال الأخت الكاتبة الفاضلة الباسلة أم أسامة لمى خاطر، بنت مدينة الخليل، على يد الاحتلال الصهيوني..

وفي لمى خاطر من سفر الحوالي شبه كبير.. إلا أنها امرأة، وهذا في ميزانها ومن دلائل سموّها..

هي قلمٌ يعرفه كل من يعرف قضية فلسطين، ولقد كنت أتابعها منذ أربعة عشر عاماً على الأقل، لقد كانت تكتب وهي تحت الاحتلاليْن -احتلال إسرائيل، واحتلال سلطة فتح- مقالات لا يجرؤ عليها أغلب الكاتبين وهم آمنون بعيداً.. ولم تفلح معها الضغوط والتهديدات والتحقيقات ومساومتها بالزوج والتحريض عليها، ولقد كانوا يحرضون عليها حيناً بالفاحش الساقط من القول والزعم، وحينا بدعوى الغيرة والرجولة التي تكبت النساء. وكانت لمى معدناً أصيلاً لا تزيده الضغوط إلا توهجاً ونوراً وصلابة..

---

(١) للاطلاع على شيء من ترجمة الشيخ محمد عليش، انظر: تقديم كتابه "منح الجليل" ط١ (بيروت: دار الفكر،١٩٨٤م) ١/٧ وما بعدها؛ محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، (بيروت: الرائد العربي، ١٩٨١م)، ص١٠؛ محمد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية، (القاهرة: المطبعة المنيرية، د ت)، ٢/٢١.

وأتذكر أني طلبت منها بحثاً عن موضوع تتخصص فيه، فأرشدتني إلى غيرها، فسألتها: لم لا تقومين به أنتِ؟ فقالت: أرى أن الحديث في هذا الموضوع ضرره أكثر من نفعه أو لم يحِن وقته، لكن غيري يرى غير ذلك، فأنا أرشدك إليه.. فكان هذا الجواب منها جامعاً لعلم وأدب واتساع نظر وخلق حسن.

وقد تشرفنا بمقال لها على صفحات مجلتنا "كلمة حق" في عدد سابق، وكان من سوء حظنا أن لم نتشرف بالمزيد..

***

مَثَل الشيخ سفر في شيخوخته ومرضه وضعفه وأنه تحت يد العدو، كَمَثَل لمى خاطر المرأة تحت الاحتلالين، كَمَثَل الشيخ أحمد ياسين في عجزه وضعفه وتعطل عدد من حواسِّه.. كمثل كثيرين بعرض الوجود وطول الخلود..

أولئك الذين يصنعون معنى الرمز والقدوة والمثل..

القدوة التي تثبت للناس أن الناس ما زال فيهم من يقول "كلمة الحق" ولو كان في ذلك هلاكه، وفيهم من يعمل للحق على سرير المرض وفوق كرسي العجز وتحت سلطة الاحتلال، مهما كان ضعيفاً أو مستضعفاً أو لا يملك سوى لسان وقلم..

تلك هي المعاني التي تتجسد بشراً فيحيي الله بها القلوب..

حين يرى المرء ذو الصحة والجلد، المقيم في أمن وسعة، المتمتع بالطيبات.. حين يرى المرء أمثال هؤلاء يعرف حقاً مقامه، ويعرف أنه يملك أن يفعل الكثير، تزول أعذاره التي يتعلل بها أمام نفسه، أو قل: تذوب أعذاره أمام شموس هؤلاء حين تشرق عليه..

بمثل هؤلاء نعرف أن تاريخنا لم ينقطع، فلقد كان في الجيل الأول من حرص على أن يجاهد فيطأ بعرجته الجنة، ومن حرص على أن يجاهد وهو أعمى ليكثر سواد المسلمين، ومن حرص على أن يجاهد وهو لا يملك مالاً ولا دابة، ومن سار مسيرة الجهاد لا يجد ما ينتعله حتى تقلعت وسقطت أظافره من السير فسمُّوا ذلك اليوم "غزوة ذات الرقاع"..

فالحمد لله أن لا زال في أجيالنا من يجدد السيرة ويستكمل المسيرة.. والموعد الله!

الموعد الله.. والجنة!

خرافة خفض التصعيد

عبد الغني مزوز



كتبنا في مقال سابق على صفحات هذه المجلة أن تصديق الثوار لأكذوبة خفض التوتر، والمناطق الآمنة أمر يدعو إلى الاستغراب والأسف أيضا، وقلنا إن ذلك يتعارض مع العقيدة القتالية للنظام الدولي؛ الذي يتربع القضاء على القوى الإسلامية الثورية على رأس قائمة أولوياتها مهما بالغت الجهات الضامنة في إقناع القوى الثورية بعكس ذلك، وشددنا على ضرورة البحث عن خيارات أخرى تعيد للفعل الثوري زخمه وتألقه وعنفوانه.

لم تمض أسابيع على نشر المقال حتى توجهت جحافل الغزاة تحت غطاء جوي روسي إلى منطقة حوران بالجنوب السوري (المشمولة باتفاق خفض التصعيد) لتبدأ حملة عسكرية شرسة هناك، عارضة على الثوار والأهالي خيارين لا ثالث لهما؛ إما الاستسلام أو الموت.

في الواقع لم تكن فكرة إقرار "مناطق خفض التصعيد" نابعة عن مسار سياسي تفاوض ندّي بين أطراف الصراع في الشام، وإنما كانت حاجة عسكرية تكتيكية بحتة، فرضها على الغزاة طبيعة الجغرافيا الممتدة وتوزع الجبهات الساخنة على محاور متباعدة يصعب تغطيتها وإدارتها كلها في وقت واحد، لأن ذلك ببساطة يتعارض مع أبسط مبادئ العسكرية الناجحة التي تحتفي بتركيز الجهد والاقتصاد في القوة. وسنتطرق في هذه الأسطر إلى خلفيات ما يسمى خطة خفض التصعيد المنبثقة عن جولة "أستانا ٤" والمكاسب التي حصدها النظام والاحتلال الروسي عبرها، وفداحة الخسائر التي لحقت بالثورة لأن قسماً من الثوار صدقوا في لحظة من اللحظات أن النظام الدولي يهتم حقاً بمأساتهم ويسعى جاداً لإيجاد حل لها.



لابد أولاً أن نتذكر أن فكرة إقرار مناطق خفض التصعيد ليست فكرة روسية كما يعتقد الكثيرون، وإنما هي صيغة نهائية لمقترح أمريكي مطروح قبل سنوات بإقامة مناطق آمنة، واستكمال لمقترحات المبعوث الأممي ستيفان دي مستورا القاضية بتجميد القتال في بعض المناطق لاسيما مدينة حلب[1].

(١) دي مستورا: تجميد القتال هو الحل لقتال داعش على تخوم حلب، شبكة شام، ٢٠١٥/١/١٥.

نصت اتفاقيات خفض التصعيد على ضرورة نشر قوات الدول الضامنة الثلاث في المناطق المعنية بخفض التصعيد، لمراقبة تطبيق الاتفاق ومنع حصول اشتباكات بين الثوار وقوات النظام. المشكلة هنا لا تكمن فقط في اعتبار كل من روسيا وإيران جهتين ضامنتين؛ بل في اعتبار انتشار قواتهما على الأرض جزءاً من الحل المنشود؛ وهما الدولتان اللتان ارتكبتا أبشع الجرائم ضد أهل الشام، وعملياً لم يقاتل الثوار سوى هاتين الدولتين؛ إيران بميلشياتها على الأرض، وروسيا بإسنادها الجوي، أما جيش النظام فقد تفكك في السنوات الأولى من الثورة.

الغريب أن يعلق بعض الثوار على التسويات التي تمت في عدة مناطق من سوريا معتبراً إياها إنجازات جديرة بالإشادة؛ لأنها -في اعتقاده- حالت دون دخول قوات النظام إلى تلك البلدات الموقعة على التسوية ودخلت بدلها الشرطة العسكرية الروسية!

ليس من الخطأ أن تتراجع أو تنهزم حتى؛ وتنحاز إلى فئة لتعيد ترتيب وتنظيم صفوفك من جديد، لكن ليس من حقك أن تسمي الأمور بغير أسمائها وتغالط الأمة وتزيف الوقائع، الاحتلال يبقى احتلالاً مهما تلبس به من أسماء مضللة ومظاهر خادعة من قبيل: "مراقبة خفض التصعيد"، " نشر قوات الفصل"، أو "قوات حفظ السلام"، أو "التسويات والمصالحات"، إلى غيرها.. فالاستعمار الفرنسي دخل بلدان المغرب الإسلامي بموجب ما سمي آنذاك "معاهدات الحماية"، مثل معاهدة فاس ١٩١٢/٣/٣٠ م التي احتلت بموجبها فرنسا المغرب الأقصى، ومعاهدة باردو في ١٨٨١/٠٥/١٢ م، التي احتلت بموجبها تونس، لكن فرنسا بقيت في وعي الشعوب والقبائل دولة مستعمرة ظلوا يقاومونها حتى خرجت من الديار.

إذن فأول المكاسب التي جنتها قوات الاحتلال في سوريا (إيران وروسيا) من خلال اتفاق خفض التوتر أنهم بيضوا سجلاتهم السوداء وشرعنوا احتلالهم للبلد، ورسخوا حضورهم كجزء من حاضر ومستقبل الشام. ولا يقتصر الأمر على روسيا وإيران فقط بل جرى الحديث في عدة مناسبات عن استقدام قوات السيسي أيضاً، وقد دخلت مصر اتفاق خفض التصعيد كإحدى الدول الراعية له في الجزء المتعلق منه بالغوطة الشرقية وريف حمص الشمالي، وقد أرسلت بعض الفصائل الثورية برقيات شكر حارة للسيسي في هذا السياق[٢]!

(٢) قيادة جيش الإسلام: ليس من الحكمة أن تبيضوا صفحة النظام المصري، رامي الدالاتي، ٢٠١٧/١٠/١٣، https://twitter.com/Rami1_Dalat331/status/918802920669360128



لم يكد اتفاق خفض التصعيد يدخل شهره الثاني حتى ظهر للمتابعين والمهتمين حجم المنجزات التي حققتها قوات النظام على الصعيد الميداني، حيث أعلنت قوات النظام أنها سيطرت على عشرين ألف كيلومتر مربع في البادية السورية على حساب تنظيم الدولة الإسلامية؛ بشكل أساسي في محافظات حمص والسويداء وريف دمشق، وهي مساحة تعادل ١٠% من مساحة سوريا كاملة، وأمّنت وصولاً لقواتها نحو الحدود العراقية، والسيطرة على شبكة طرق هامة، كما تضم المناطق التي تقدمت فيها موارد اقتصادية هامة مثل النفط والغاز.

كما تمكنت قوات النظام السوري من استعادة السيطرة على أكثر من ثلاثة آلاف كيلومتر مربع في ريفي حلب الشرقي والرقة الغربي على حساب تنظيم الدولة أيضاً، بينها مدن ومواقع هامة كمسكنة ومطار الجراح العسكري، ومحطات ضخ مياه عملاقة على نهر الفرات.

وتظهر الوقائع على الأرض أن النظام السوري سيطر على مناطق لم تكن مشمولة بالاتفاق، من أهمها أحياء برزة وتشرين والقابون شرقي دمشق، وحي الوعر في مدينة حمص[٣] .



(٣) نظام الأسد المستفيد الأكبر من اتفاق خفض التصعيد، الجزيرة نت، ٢٠١٧/٦/١٧.

فالاتفاق في أساسه -كما قلنا- ذو خلفيات عسكرية أملته إكراهات ميدانية بحتة، ولم يكن جزءاً من مشروع تفاوضي يروم البحث عن حلول سياسية للأزمة كما يتوهم الموقعون عليه من جهة المعارضة. ويعتبر بمثابة الصيغة المقننة لتكتيكات الفرز والعزل والقضم التي اتبعها جيش النظام وحلفاؤه لاجتياح معاقل الثورة.

وقد كتب ضابط سابق موالي للنظام السوري سارداً إيجابيات خفض التصعيد: "إنّ وقف العمليات القتالية في المناطق الأربع المحددة بالاتفاق ووضع آليات مراقبة وتنفيذ لها، سيسهم في تخفيض قوات الجيش السوري على حدود تلك المناطق بعد أن تُوضع نقاط مراقبة من الدول الضامنة، ويُتاح لاحتياطي معين من القوات التوجه إلى مناطق قتال لا تشملها الاتفاقية" (٤) .

وعندما يُنتهى من المناطق غير الخاضعة للاتفاق لن تعدم روسيا سبباً للانتقال إلى المناطق الخاضعة للاتفاق، بحجة ضرب الإرهابيين والذين وقع الجميع بمن فيهم المعارضة على ضرورة محاربتهم، ومعلوم أن الإرهاب في القاموس الروسي والإيراني يشمل كل سني ثائر حمل السلاح.

تسويق المصالحات وتأهيل جيش النظام

قال الرئيس بشار الأسد تعليقاً على إقرار مناطق خفض التصعيد في عدة مناطق سورية بأن ذلك بمثابة "الفرصة لكل من يريد من المسلحين إجراء مصالحة مع الدولة كما حصل في مناطق أخرى؛ ليكون تخفيف الأعمال القتالية في هذه المناطق هو فرصة له ليقوم بتسوية وضعه مع الدولة وتسليم السلاح مقابل العفو" (٥) .

وبالفعل اختارت عدة فصائل وبلدات مصالحة النظام والانخراط في "الواجب الوطني" المتمثل في القضاء على الإرهابيين، وتعددت صيغ وأشكال المصالحة التي أبرمها النظام مع مناطق كانت في السابق خارج سيطرته، لكن في صميمها كانت اتفاقيات استسلام بكل ما تحمله الكلمة من معاني الذل والهزيمة والانكسار.

(٤) الأبعاد التقنية لاتّفاق «مناطق خفض التصعيد»، موقع شمرا، ٢٠١٧/٥/٧
https://www.shamra.sy/news/article/642eaf9fa4f3e7069195ed81e290adb7

(٥) الأسد: اتفق خفض التصعيد فرصة للمسلحين للمصالحة مع الدولة، رويترز، ٢٠١٧/٥/١١
https://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN1872QM

لم تكن المصالحات المزعومة مناسبة لإحلال الأمن والسلام في المناطق المعنية، ولم يكتفِ النظام بحل الفصائل الثورية التي قبلت مشروع المصالحة؛ بل قام بإعادة تدويرها وتوظيفها في ما تبقى له من معارك ضد الثوار. وقد أعلن النظام السوري عن تشكيل "الفيلق الخامس- اقتحام" بتمويل من روسيا ليستوعب جحافل "المصالحين"، ويزج بهم في مواجهة رفاق السلاح السابقين.

فالنظام يريد أيضاً "للمكون السني" أن يكون مشاركاً فعالاً في الحرب على الإرهابيين، ولم يجد بعض قادة الفصائل الثورية حرجاً في التوقيع على اتفاقات تسوية تنص بنودها على تجنيد عناصر فصيله ضمن الفيلق الخامس كجزء من المصالحة مع النظام، كما فعل قائد فصيل شباب السنة في درعا.



يريد النظام السوري من خلال تشكيله للفيلق الخامس أن يتجنب استنساخ النموذج العراقي في سوريا، حيث تنتشر ميلشيات شيعية موازية للجيش النظامي هناك وغير منضبطة في بعض الأحيان، ويسعى النظام لإعطاء انطباع زائف بأن الجيش السوري أكثر حداثة وتنوعاً، وقادر على استيعاب كل "الحساسيات" المذهبية والدينية والمناطقية، وقد وجد في المكونات الثورية المستقيلة خير رافد لمشروعه هذا، وانضم فعلاً آلاف من الثوار السابقين والمدنيين الذين كانوا يعيشون في المناطق المحررة إلى "الفيلق الخامس- اقتحام"، وشبه بعض المراقبين الفيلق الخامس بجيش الشرق الذي أسسه الاحتلال الفرنسي في سوريا.

يتبع النظام السوري وحلفاؤه استراتيجيات فعالة في حربهم ضد الثوار، ولعل من أنجع هذه الاستراتيجيات تلك التي تستهدف تثبيت المنجزات والمكاسب الناجزة قبل الانتقال إلى الخطوات التالية، وقد كان مسار "أستانة" الذي تمخض عنه مشروع خفض التصعيد مظهراً من مظاهر هذه الاستراتيجية، إذ أُعلن عن انطلاق محادثاتها بعد أسابيع فقط من الانتصار الكبير الذي أحرزه النظام في مدينة حلب. ثم جاءت عشرات الاتفاقات والتسويات الأخرى لتؤدي المهمة ذاتها؛ وهي تثبيت المكاسب والمنجزات قبل استئناف المعارك مجدداً.

يحرص النظام السوري حتى على صعيد المنطقة الواحدة أو البلدة الواحدة على تجزئة تحركاته باتفاقات تحفظ ما حققه من مكاسب في حي من أحيائها، قبل أن ينتقل إلى الأحياء الأخرى، أو يبرم تسوية مع فصيل ما دون الفصائل الأخرى وإن كانت هذه الفصائل تنشط في نطاق منطقة واحدة. فنجده مثلاً في الغوطة الشرقية قد قام بفرز وعزل مناطقها إلى عدة محاور أو أحياء قاضماً إياها منطقة منطقة، وفي كل مرحلة يقوم بتعزيز وتثبيت منجزه عبر الاتفاق مع كل حي أو فصيل على حدة. مستغلاً طبعاً مناخ عدم الثقة بين الفصائل الثورية وحالة التشرذم والانقسام التي عاشتها وما تزال تعيشها.

لقد أبرم النظام اتفاقات مستقلة مع كل من "فيلق الرحمن" و"حركة أحرار الشام" و"جيش الإسلام" في الغوطة الشرقية. وأبرم اتفاقاً مستقلاً دون الفصائل الأخرى في ريف حمص مع "جيش التوحيد"، وفي حوران أبرم اتفاقاً مستقلاً مع فصيل "شباب السنة".

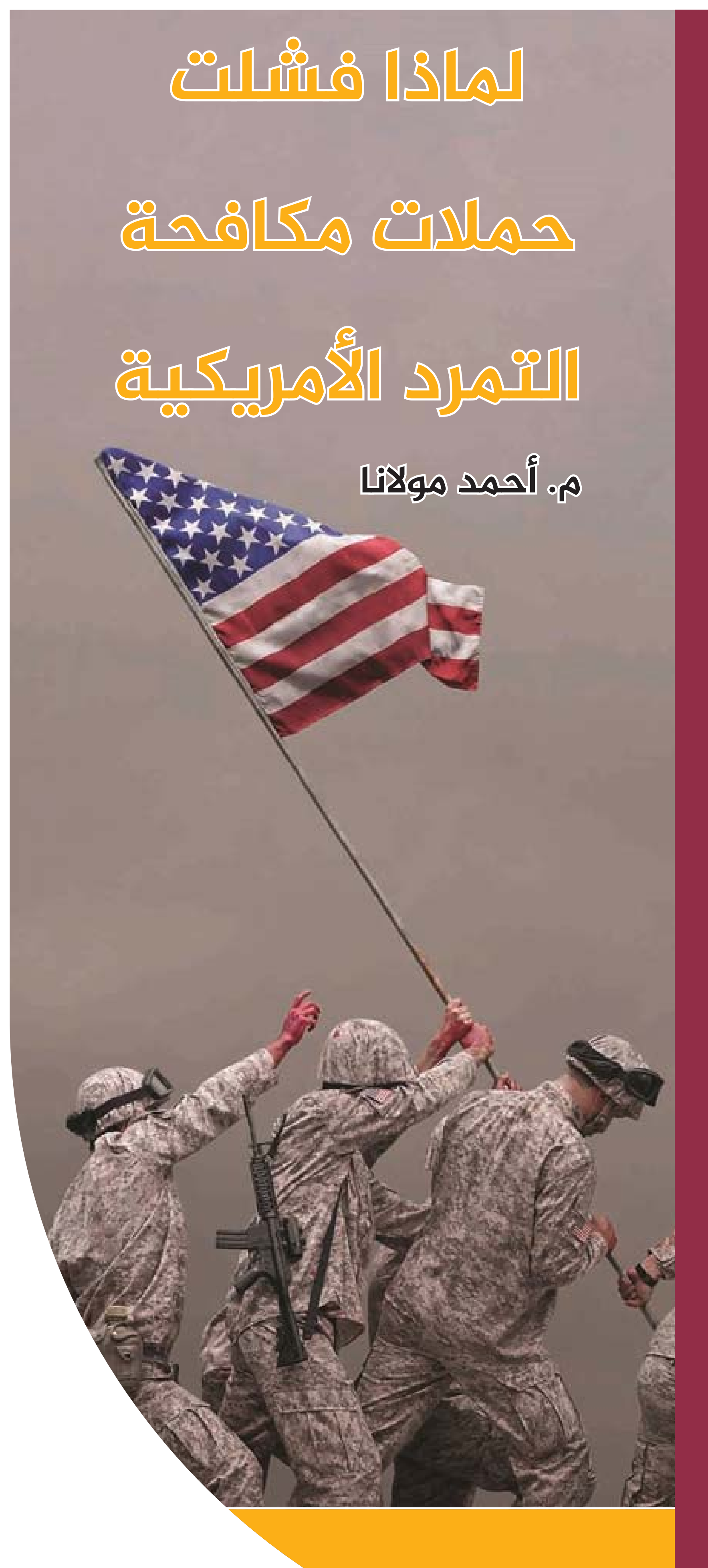
لقد كتب الضابط عمر معربوني المؤيد للنظام مستشرفاً آفاقا اتفاقية خفض التصعيد بعد التوقيع عليها: "يمكن لهذا الاتفاق الذي تمّ بعد تواصل روسيا مع ٢٧ جماعة مسلّحة، أن يزيد حدّة الشرخ بين الجماعات التي وافقت على الطرح الروسي وبين جبهة النصرة ومن يدور في فلكها من الجماعات، وهذا بحد ذاته سيكون إنجازًا هامًّا " [٦] .

ومع كل الأسف هذا ما حصل.

(٦) الأبعاد التقنية لاتّفاق «مناطق خفض التصعيد»، موقع شمرا، ٢٠١٧/٥/٧
https://www.shamra.sy/news/article/642eaf9fa4f3e7069195ed81e290adb7

لماذا فشلت حملات مكافحة التمرد الأمريكية

م. أحمد مولانا



"إن أي قائد يفكر في إرسال قوات أمريكية للمشاركة في حملة واسعة النطاق لمكافحة التمرد، يجب أن تُفحص قدراته العقلية". بهذه الكلمات لخص وزير الدفاع الأميركي السابق روبرت جيتس الدروس الأمريكية المستفادة من خوض أميركا لحربيها بالعراق وأفغانستان.

فبعد ذيوع نهج مكافحة التمرد "COIN" في عهد الرئيس الأميركي بوش، إثر إصدار الجيش الأميركي لدليل ميداني مطول أصدره عام ٢٠٠٦ تحت إشراف قائد مركز الأسلحة المشتركة بالجيش الأميركي آنذاك الجنرال ديفيد بترايوس، ثم تطبيق بيترايوس لاحقاً لإرشادات هذا الدليل أثناء قيادته بنفسه للقوات الأمريكية في العراق ثم أفغانستان، تبين أن حملات مكافحة التمرد الأمريكية كللت بخسارة فادحة، سواء:

- ميدانياً عبر استفحال خطر تنظيم الدولة بالعراق مجدداً منذ عام 1102، واستيلائه على مدينة الموصل عام ٢٠١٤، أو عبر تمكن حركة طالبان من استعادة زمام المبادرة بأفغانستان، وسيطرتها مجدداً على مناطق شاسعة ومتزايدة.

- اقتصادياً عبر استنزاف الاقتصاد الأميركي بنفقات هائلة لتغطية التكاليف العسكرية والأمنية، وأنشطة إعادة الإعمار المصاحبة للمغامرات الأمريكية بالخارج.

وفي هذا المقال سأستعرض بعض أسباب فشل حملات مكافحة التمرد الأمريكية من واقع الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد "FM24-3"، الصادر عام ٢٠٠٦. فهذا الدليل من أفضل ما يشرح أسباب إخفاق الحملات الأمريكية، والتي أخفقت لعدم قدرتها على تطبيق الإرشادات الواردة في الدليل المذكور. لا لرداءة التوجيهات الواردة فيه.

ما المقصود بحملات مكافحة التمرد؟

ينص الدليل على أن "حملة مكافحة التمرد، هي خليط من العمليات الهجومية والدفاعية، وعمليات الاستقرار التي تجري عبر خطوط متعددة من العمليات. وتتطلب إعداد جنود الجيش ومشاة البحرية الأمريكية للمساعدة في إعادة بناء المؤسسات وقوات الأمن المحلية والبنية التحتية، وتوفير الخدمات الأساسية، والالتزام بالقدرة على تيسير إنشاء الحكم المحلي وتطبيق القانون؛ ويتطلب تنفيذ تلك المهام التنسيق والتعاون المكثف مع كثير من الوكالات المختلفة، والحكومات، والدولة المضيفة، والوكالات الدولية"[1].

(1) من مقدمة دليل الميدان للجيش الأميركي لمكافحة التمرد - باختصار يسير.

ما هي أسباب الفشل؟

١- الإخفاق في كسب السكان للصف الأميركي

ينص دليل الميدان على أن "نجاح مكافحة التمرد يعتمد في المدى الطويل على السكان ومن يظنونه الأصلح لتولي مسؤولية شؤونهم العامة، ومن يقبلون بسلطته الحكومية"[٢].

وقد أخفقت أميركا في كسب قلوب وعقول السكان في العراق وأفغانستان، إذ نظروا إليها على أنها دولة احتلال تسعى لنهب مواردهم "بالأخص في العراق" أو للتدخل في خصوصياتهم القبلية "بالأخص في أفغانستان". كما عمل البعد العقدي الديني على تحفيز قطاعات من السكان على قتال الجيش الأميركي. وقد نبه الدليل الميداني إلى خطورة مشاركة أي قطاعات من السكان في التمردات مهما كان صغر حجم المشاركين، قائلا "إن الحفاظ على الأمن في بيئة غير مستقرة تعتريها الفوضى يتطلب حشد موارد هائلة، سواء من الدولة المضيفة أو الولايات المتحدة الأمريكية، أو من أي دول أخرى متعددة الجنسيات. وعلى النقيض فإن حفنة صغيرة من المتمردين ممن تتوفر لديهم دوافع عالية، وبعض الأسلحة البسيطة، وأمن عملياتي جيد، وقابلية محدودة للحركة، يمكنها أن تقوض الأمن في مناطق شاسعة. ولذا فغالباً ما تتطلب عمليات مكافحة التمرد الناجحة نسبة عالية من قوات الأمن لتوفير الحماية للسكان، ولهذا السبب، فإنه يصعب تعزيز عمليات مكافحة التمرد طويلة المدى. إذ إن هذا الجهد يتطلب إرادة سياسية قوية، وصبراً طويلاً من جانب الحكومة والشعب والدول التي تقدم الدعم".

٢- دعم حكومات لا تحظى بشرعية

أكد الدليل الميداني على أهمية حيازة حكومة الدولة المضيفة للشرعية قائلاً "إن الشرعية تيسر على الدولة تنفيذ وظائفها الضرورية. والتي تشمل سلطة تنظيم العلاقات الاجتماعية، واستخراج الموارد، واتخاذ الإجراءات اللازمة باسم الشعب"[٣]. ثم قدم ستة مؤشرات للشرعية قائلا: "توجد ست مؤشرات محتملة للشرعية، ويمكن استخدامها في تحليل التهديدات الموجهة للاستقرار،

---

(٢) الدليل : فقرة "١/٤".

(٣) الفقرة "١/١١٥".

وتشمل التالي:

القدرة على توفير الأمن للسكان "بما في ذلك الحماية من التهديدات الداخلية والخارجية".

١ اختيار القادة دورياً بطريقة يعتبرها معظم السكان عادلة ونزيهة.

٢ مستوى عالٍ من المشاركة الشعبية في الممارسات السياسية وفي دعمها.

٣ حَدُّ مقبول من السكان للفساد الذي تتحكم فيه التقاليد الاجتماعية.

٤ مستوى ومعدل مقبول للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٥ مستوى عالٍ لقبول النظام الحاكم من قِبل المؤسسات الاجتماعية الرئيسية" [٤] .

والمتأمل لواقع الحكومات التي أنشأتها أميركا بالعراق وأفغانستان يجد أنها حكومات مفتقدة للشرعية، سواء لتأسيسها على أسس طائفية، أو لتبعيتها الكاملة للإدارة الأمريكية.

٣- الاستخدام المفرط للقوة

أدى الاستخدام الأميركي المفرط للقوة ضد الشعوب إلى حدوث نقيض غرضها، وتأجيج العداء لها، رغم تشديد الدليل الميداني على خطورة ذلك بالقول: "ينبغي على مكافحي التمرد أن يحسبوا بعناية نوع وكمية القوة التي يلزم استخدامها، ومن سوف يستخدمها ببراعة في أي عملية. فالعملية التي يُقتل فيها خمسة متمردين، ستأتي بنتائج عكسية تماماً في حالة ما إذا أدت الأضرار الشاملة التي نتجت عنها إلى استقطاب خمسين متمرداً أو أكثر" [٥] .

٤- افتقاد الأسس الأخلاقية

رغم تأكيد الدليل الميداني على وجوب "عدم تعريض أي شخص محتجز أو تحت سيطرة وزارة الدفاع، بصرف النظر عن جنسيته أو موقع تواجده، للتعذيب أو العقاب أو المعاملة الوحشية أو غير الإنسانية المهينة"[٦]، وعدم جواز "احتجاز أفراد أي أسرة أو رفقاء حميمين، لإجبار المتمردين المشتبه فيهم على الاستسلام أو الإدلاء بمعلومات.. والتشديد على اعتبار أن التعذيب والمعاملة الوحشية أو غير الآدمية أو المهينة أمر غير مقبول من الناحية الأخلاقية على الإطلاق، حتى ولو كان الحصول على هذه المعلومات يتوقف على أرواح آخرين"[٧]. فإن الحكومات الأمريكية المتعاقبة اعتمدت على التعذيب والممارسات غير الأخلاقية في تعاملها مع خصومها مثلما حدث في سجن أبي غريب ومعتقل جوانتامو وفي السجون السرية.

(٤) الفقرة "١/١٦١".

(٥) الفقرة "١/١٤١".

(٦) الفقرة "٧/٣٨".

(٧) الفقرة "٧/٤٢".



والعجيب أن الدليل الميداني شدد على أن "جميع الجهود المبذولة لبناء حكومة شرعية باستخدام أفعال غير شرعية يُعد أمراً مدمراً للذات"[٨]، ثم أورد فقرة كاملة تحت عنوان: "فقدان الشرعية الأخلاقية تعني خسارة الحرب"، تناول فيها أسباب فشل فرنسا في حملتها الدموية بالجزائر قائلا: "خلال حرب الاستقلال الجزائرية في الفترة ما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ، قرّرَ القادة الفرنسيون السماح بتعذيب المشتبه بهم من المتمردين. وعلى الرغم من أنهم كانوا على وعي تام بأن ذلك يخالف القانون العسكري وأخلاقيات الحرب، إلا أنهم استندوا على الحجج التالية:

- أن هذا شكل جديد من أشكال الحرب، وأن القواعد والأعراف المتداولة للحرب لا تسري عليها.
- أن الخطر الذي يمثله العدو والشيوعية كان شراً كبيراً يبرر استخدام وسائل وطرق استثنائية.
- أن تطبيق التعذيب وتنفيذه ضد المتمردين يتم قياسه ولا يجري دون مبرر.

وهذا التغاضي الرسمي عن التعذيب من ناحية قيادة الجيش الفرنسي كان له العديد من التبعات السلبية. إذ قوّض الشرعية الأخلاقية الفرنسية وأحدث انكساراً داخلياً معنوياً بين الضباط الذين كانوا في الخدمة، أدى إلى القيام بانقلاب عسكري فاشل في عام ١٩٦٢. وفي النهاية، فقد أسهم الفشل في التقيد بالقيود القانونية والأخلاقية ضد التعذيب في تقويض الجهود الفرنسية بصورة خطيرة، كما أسهم في خسارة الحرب على الرغم من العديد من الانتصارات العسكرية الهامة التي تحققت".

(٨) الفقرة "١٣٢/١".

النهج البديل ”التدخلات المحدودة“

بــدلاً مـن استراتيجية مكافحة التمرد، اعتمدت إدارة أوباما على خيارات أقل كلفة أسمتها ”مـقـاربـة التدخلات المحدودة“. وهذه المقاربة تؤكد على استخدام القوة الجوية وتقديم التزام محدود من قبل القوات البرية الأمريكية ”عادة من قـوات العمليات الخاصة“ لتحقيق أهداف محددة بدقة، كإضعاف تنظيمات معينة عبر تصفية أو أسـر قادتها. وهذه المقاربة لمكافحة التهديدات غير النظامية ظهرت للعيان في التدخلات العسكرية الأمريكية المحدودة في بلاد مثل الصومال واليمن وليبيا والعراق ”مجدداً عقب تنامي خطر تنظيم الدولة الإسلامية“.

وقد حازت ”مقاربة التدخلات المحدودة“ على قدر كبير من القبول داخل مجتمع الدفاع الأمريكي. ومع ذلك، ففي الآونة الأخيرة، تعرضت لانتقادات من جانبين، الأول من يعتقدون بأن الولايات المتحدة لا ينبغي أن تتدخل على الإطـلاق، والثاني من يعتقدون أن الولايات المتحدة يجب أن تستخدم القوة بشكل أقوى عندما تتخذ قراراً بالتدخل[٩].ورغم ذلك ما زال ترامب حتى الآن ملتزماً بهذه المقاربة.

(٩) لمزيد من التفصيل عن هذه المقاربة انظر دراسة ”التدخلات المحدودة: تقييم فاعلية عمليات الاستقرار المحدودة، والضربات المحدودة، وعمليات الاحتواء“. وهى دراسة نشرها مركز راند عام ٢٠١٧، وشارك في إعدادها ١٢ باحثا.



التوحيد القاتل للثورات | كرم الحفيان

مقدمة

لا يختلف عاقلان في أهمية القيادة الموحدة لأي نشاط بشري جماعي في كافة الأنشطة الحياتية، الاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية وغيرها، ولا ينكر أحد الآثار السيئة للتفرق وتعدد الرؤوس على نجاعة وجودة أي عمل، لاسيما إن كان كبيراً كثورة شعبية أو حراك عسكري مسلح في وجه سلطة مستبدة أو احتلال غاشم. ولكن، في ضوء التجارب والدارسة لثلاثين سنة خلت في عالمنا الإسلامي، هل كانت مجمل محاولات توحيد الصفوف أثناء المقاومة خيراً من تفرقها؟ وهل الطرق التي سُلكت لتوحيدها كانت صحيحة وموفقة؟

دعونا في البداية نناقش أسباب الفرقة بإيجاز:

أولاً:

ضعف التربية الإسلامية السلوكية في الأمة عموماً وتقليل البعض من أهميتها، وما ترتب على ذلك من تراجع في الاعتناء بالأعمال القلبية؛ كالزهد في التصدر وتقلد المناصب، ولم تسلم من ذلك جُل التيارات الإسلامية.

ثانياً:

غياب ثقافة العمل الجماعي إلى حد كبير في مجتمعاتنا، نتيجة أنماط التعليم والعمل والوظائف المفروضة على الشعوب منذ عقود طويلة، والتي تصر أنظمة الحكم على تثبيتها وعدم تطويرها للحفاظ على هيمنتها وتسلطها.

ثالثاً:

التصلب الفكري عند بعض الجماعات والحركات، واعتقادها أن طريق النصر يمر من خلال أدبياتها فقط؛ فالبعض يحصر الفهم الصحيح للدين في تنظيمه ومنهجه، والبعض الآخرلديه قناعة أنه الوحيد المطّلع على حقائق السياسة الدولية ودهاليزها العميقة.

رابعاً:

العوامل والضغوط الخارجية والدولية التي تكرّس الفرقة، عبر استغلال حاجة الفصائل الثورية للدعم المادي والسلاح والذخيرة الضرورية لمواصلة قتالها.

لا أحسب أنني سأجد معارضة كبيرة إن قلت أن هذه المعوّقات الأربعة بحاجة إلى جهود جبارة وصبر جميل في مدة زمنية ليست بالقليلة أثناء مدافعة العدو ومقاومته؛ كيما نستطيع التغلب عليها والارتقاء إلى مرحلة التوحد الكامل.

إلا أن البعض ظن أن باستطاعته بالقوة فقط (مستخدماً بعض الفتاوي) توحيد جميع القوى العاملة على الأرض؛ فماذا كانت النتيجة؟ هذا إن سلمنا أن الدافع كان ذاتياً وأن الهدف كان مصلحة الجهاد والأمة، فإذا بدأنا بالجزائر في حقبة التسعينيات، لم يكن الصف الثوري المسلح (بعد انقلاب العسكر على جبهة الإنقاذ) منقسماً إلى جماعات وأحزاب كثيرة، إنما كان هناك طرفان كبيران وحسب: جبهة الإنقاذ المؤلفة من تيارات إسلامية متنوعة، والجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا)، التي أُنشئت كتنظيم سلفي جهادي، ودُعمت من بعض رموز التيار قبل يُتبرَأ منها لاحقاً. حققت الثورة المسلحة إنجازات كبيرة وسيطرت على أغلب الجزائر، وسط تأييد ومعاونة شرائح واسعة من الشعب، وطبقاً لشهادات كثيرة من الوسط الجهادي - على رأسهم أبو مصعب السوري وعطية الله الليبي - فإن النقطة المفصلية للتراجع الكبير كانت سلوك (الجيا) الإجرامي، وسعيها للتفرد واعتداءاتها على شركاء الثورة، بحجة أنها الجماعة الشرعية التي ستوحد الصف الجهادي، والنتيجة كانت انهيار الصف تماماً.



تجربة أخرى وقعت بعدها، وكان ميدانها العراق، فصائل كثيرة من مشارب مختلفة بعضها كبير والبعض الآخر صغير، الجميع شارك في قتال الاحتلالين الأمريكي والإيراني، والإنجازات الميدانية من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٦ ملفتة، بتحرير غالب المحافظات السنيّة في العراق وبخسائر كبيرة في الجانب الأمريكي والإيراني، ثم خرجت إحدى الجماعات الكبيرة الفعالّة (القاعدة في بلاد الرافدين) في الساحة لتعلن مع جماعات أخرى صغيرة "دولة العراق الإسلامية"، وتفتي بوجوب بيعة أبي عمر البغدادي، غير المعروف لكبرى الفصائل ووجوه الشعب، وعقب رفض أغلب الجماعات، بدأ احتراب داخلي واسع النطاق، ضَعُف (مع عوامل أخرى كنشاط الخونة والجواسيس) بموجبه الصف المجاهد بشكل حاد، إلى أن أحكمت حكومة الاحتلال المركزية سيطرتها على كامل البلاد.

التجربة السورية، الأحدث لا تزال ماثلة أمام العيان، فرغم تعدد الجماعات والفصائل المجاهدة، إلا أن التقدم باتجاه إسقاط النظام كان يسير بشكل جيد، وفرضت القوى الثورية سيطرتها على ثلاثة أرباع الجغرافيا السورية، بما فيها المناطق الحدودية مع دول الجوار، ومطارات حربية عديدة بحلول مارس ٢٠١٣، ثم دخلت فكرة (داعش) على الخط، ومع نهاية عام ٢٠١٣ م وبداية ٢٠١٤م دخلت الثورة في اقتتالٍ وخسائر لا تحصى بحجة توحيد الصف وإنهاء التشرذم، ورغم تعافيها نسبياً بتجربة جيش الفتح (غرفة عمليات ضمت ٧ فصائل) الذي أعاد شيئاً من هيبة الثورة وحرر مناطق لا بأس بها، بل شكل خطراً حقيقياً على النظام

دفعه للاستعانة بدولة عظمى كروسيا لتنقذه من السقوط، إلا أن نغمة توحيد الساحة بالقوة عادت مع بداية ٢٠١٧، وتسببت بعد اتفاقية خفض التصعيد (أستانا) وتفاهمات القوى العظمى بتراجعٍ هائلٍ أدى لانحسار الثورة في الشمال السوري وتهديد وجودها بشكل كبير.

النموذج الوحيد الناجح (نسبياً) كان الجهاد الأفغاني الأول، حين حُررت أفغانستان كاملةً من الاحتلال السوفيتي، على الرغم من وجود سبعة أحزاب أفغانية مجاهدة بسبع قيادات مختلفة، ربما لأنها عصمت في هذه المرحلة من الاقتتالات الكبيرة وتجارب التوحيد بالقوة، وإن كانت عانت منه لاحقاً بعد التحرير.

خاتمة

لا يفهم من كلامي السابق الدعوة إلى الفرقة أو تسويغها، وإنما محاولة معالجة الواقع على وفق المبدأ الشرعي (دفع الصائل) بالطريقة الأقل ضرراً، اهتداءً باستقراء الوقائع المعاصرة، وذلك عبر تقليل عوامل الفرقة (المذكورة في بداية المقال)، وتعزيز التوحدات الجزئية وترسيخها، وزيادة التنسيق والمؤاخاة بينها، ريثما ينضج العلاج الكامل الشافي.

بلا شك، لن تحقق أي ثورة أو أمة أهدافها الكاملة في النهوض والاستقلال، وقيام الدولة القوية، مع غياب القيادة الموحدة والمشروع الواحد والهدف الواحد والإسهام الشعبي. ولكن الحل الوقتي أثناء مدافعة حشود من الصائلين لا يكون بأن يقتل بعضنا بعضاً، أو أن يسقط أحدنا الآخر، لاسيما مع عجز جميع الأطراف الفاعلة عن الحشد والحسم (إن جاز ذلك شرعاً)، كما حدث في بعض الأحداث تاريخياً.

وما أجمل كلمات عبد الله عزام حين تساءل مستنكراً عن قدرة أي جماعة على إقامة دولة إسلامية بمفردها، واصفاً إسهامها بأنه نقطة في بحر حاجات المسلمين.

ترجمة: خالد أحمد- أحمد مولانا
مركز حازم للدراسات
hazeminstitute.com

دراسة
(فاعلية قطع رأس القيادة في حملات مكافحة التمرد)

باتريك جونستون



التمرد التيرولي
(١٨٠٩ – ١٨١٠)

تمرد التيرول[١] من أول حالات تمرد العصابات في القرن التاسع عشر، ويوضح اغتيال زعيم عصابة التمرد التيرولي "أندرياس هوفر" إحدى الآليات التي يمكن من خلالها أن يكون قطع الرأس ذا فاعلية، ويتمثل في إزالة النخبة المقاتلة لتمكين الشخصيات المتمردة المعتدلة أو الطيعة.

اختبأ التيروليون في عمق جبال الألب، وفضلوا أن يكونوا تحت الحكم النمساوي، وعارضوا الحكم الفرنسي والبافاري خلال فترة نابليون، عندما حاول نابليون ضم تيرول خلال حرب التحالف الخامس[٢]عام ١٨٠٩ .

كان زعيم الحركة التيرولية "أندرياس هوفر"، وهو محارب تيرولي قاتل ضد فرنسا في حرب التحالف الثالث[٣]، وشكل ميليشيا مناهضة للبافاريين بعد أن نقلت فرنسا تيرول إلى بافاريا. وعند عودته من الحرب، بدأ هوفر تنظيم المقاومة المحلية للحكم الفرنسي والبافاري في تيرول. فحشد هوفر السكان تقريبا بمفرده، وعقد اجتماعات منتظمة في النزل والحانات للحصول على تعهد بمناهضة الاحتلال الأجنبي[٤].

وبدأ المتمردون التيروليون حملتهم في أبريل ١٨٠٩. وبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠ شخص، وقد حققوا نجاحاً كبيراً في وقت مبكر، مما أسفر عن مقتل مجموعة من المهندسين البافاريين الذين كانوا يحاولون تدمير الجسور التي كان الجيش النمساوي - الحليف لتيرول- يخطط لاستخدامها[٥].

ثم هاجم المتمردون الحاميات البافارية ونصبوا كميناً لطابور من المشاة الفرنسيين، وسرقوا بنادقهم لتوزيعها على المتمردين. وانتصرت قوات هوفر في العديد من الاشتباكات المبكرة، وهزمت قوات مكافحة التمرد في ستيرزينج، وإنسبروك، وبوزن، وترينت، وأسروا القوات الفرنسية والبافارية بأكملها في هذه المناطق الرئيسية، واستولوا على أسلحتها وخيولها وعتادها[٦].

وبدأ المتطوعون بالانضمام للتمرد حينما أثبت القدرة على مقاومة القوات الفرنسية والبافارية. وعندما هُزمت القوات النظامية النمساوية أمام جيش نابليون، تراجعت فاعلية التيروليين مؤقتاً. وتمكنت القوات (الفرنسية البافارية) من تركيز جهودها العسكرية على التمرد وتصعيد الضغط على المتمردين كي يستسلموا.

---

(١) منطقة تيرول قرب جبال الألب كانت تخضع لحكم أقرب للحكم الذاتي التابع للإمبراطورية النمساوية، ودخلتها قوات بافاريا عام ١٨٠٩ مما أدى إلى اندلاع تمرد بقيادة آندرياس هوفر ضد البافاريين التابعين لنابليون. ونجح التمرد التيرولي في هزيمة قوات نابليون في معركة جبل إيزل عام ١٨٠٩، ولكن أدت هزيمة النمسا أمام نابليون إلى عقد اتفاقية صلح تخلت بموجبها النمسا عن دعم ثوار التيرول، مما سهل هزيمتهم أمام جيش نابليون في أكتوبر ١٨٠٩، ليلقي القبض على زعيم المتمردين هوفر في ٢٨ يناير ١٨١٠ ثم ليُعدم في ٢٠ فبراير ١٨١٠ (المترجم).

(٢) حرب التحالف الخامس دارت عام ١٨٠٩ بين نابليون وخصومه في أوروبا، وانتهت بانتصار فرنسا، وتوقيع معاهدة شونبرون مع استمرار القتال في شبه جزيرة إيبيريا، ليتجدد القتال لاحقاً في حرب التحالف السادس عام ١٨١٢ عقب غزو نابليون لفرنسا.

(٣) حرب التحالف الثالث دارت في الفترة من ١٨٠٣ إلى ١٨٠٦ بين نابليون من جهة وبين النمسا والبرتغال وغيرهما من جهة أخرى، وانتهت بانتصار نابليون.

(٤) إيك ١٩٨٦ .

(٥) إسبراي ١٩٧٥، ص ١٣٦ .

(٦) إسبراي ١٩٧٥، ص ١٣٦ .

واتساقاً مع التكتيكات الماوية، تجنبت قوات هوفر القتال دفاعاً عن الأرض، وانسحبت كلما واجهت القوات الفرنسية، وقد مكنت سرعة حركة وحدات حرب العصابات "هوفر" من التهرب من القوة النارية الفرنسية على الرغم من خسارته الأراضي الرئيسية التي سيطر عليها في وقت سابق. كما حجم مقاتلوه التفوق الفرنسي عبر استخدام الجغرافيا لصالحهم. فتراجعوا في عمق جبال الألب، حيث أقاموا معاقلهم على أرض مرتفعة تمكنهم من شن الهجمات على القوات النظامية الفرنسية . ومن هذا الموقع، أخذ المتمردون زمام المبادرة، وانتصروا في عدد من الاشتباكات الرئيسية، بما في ذلك الانتصار في بيرغ بشهر أغسطس ١٨٠٩، مما قاد البافاريين إلى خارج البلاد[٧].



وقد حقق التمرد التيرولي هدفه، فقد عادت تيرول إلى الحكم النمساوي. وتلقى هوفر رسالة من الإمبراطور النمساوي فرانسيس، والذي كانت قواته لا تزال تقاتل في حرب متزامنة ضد الفرنسيين، حيث وعد فرانسيس بعدم التخلي عن تيرول في أي اتفاق سلام مع الفرنسيين[٨]. ومع ذلك، فقد تقرر مصير التيروليين، عندما تعرض النمساويون للهزيمة على يد الجيش الفرنسي في معركة واغرام في يوليو ١٨٠٩. وفي الهدنة التالية بزنيم[٩]، افتقر النمساويون للتفوق الذي يسمح بالمساومة للحفاظ على تيرول، وطالب نابليون إعادتها له كجزء من الحل. فتنازلت النمسا عن تيرول في الهدنة، وأرسل نابليون ٤٠٠٠٠ جندي فرنسي وبافاري لاحتلال تيرول.

(٧) بيكيت ١٩٩٩، ص ٢٤١ .

(٨) مارتن،٣.

(٩) هدنة زنيم عبارة عن هدنة لوقف الأعمال العدائية بين نابليون والأرشيدوق النمساوي تشارلز في ١٢ يوليو ١٨٠٩ عقب معركة زنيم، وهي مدينة رئيسية تقع في جنوب مورافيا بجمهورية التشيك (المترجم).

عاد هوفر إلى قريته بعد هزيمة البافاريين، وأعاد تنظيم المقاومة فوراً، مستخدما نداءات دينية لتعبئة القوات غير النظامية التيرولية ضد قوات الاحتلال الأكثر قوة[١٠]. واستفاد التيروليون من موقعهم الجغرافي على الأرض المرتفعة، وانتصروا في العديد من الاشتباكات الأولية بعد عودة القوات الفرنسية والبافارية. واستعادوا إنسبروك في أغسطس ١٨٠٩، وفازوا بسلسلة من الانتصارات الأخرى. ولكن تركت الحرب المستمرة - صعوداً وهبوطاً - فراغاً في السلطة السياسية في تيرول ما أدى إلى أن يشغلها هوفر بنفسه، ومن ثم توسيع دوره من قائد عسكري إلى زعيم سياسي.



لكن سيطرة هوفر كانت مؤقتة فقط. إذ عاد الفرنسيون والبافاريون في أكتوبر ١٨٠٩، مما أجبر هوفر وقواته على الفرار إلى الجبال. وقد دخل مقاتلو هوفر وقوات الاحتلال في وقف تكتيكي لإطلاق النار؛ فلم تُسرّح قوات حرب العصابات التابعة هوفر أو يُنزع سلاحها مطلقاً. واستمر نشاط حرب العصابات بوتيرة منخفضة، إذ ظهر أن هوفر لن يتخلى عن النضال أبداً. ومع ذلك، ففي أواخر ١٨٠٩ تعرض هوفر للخيانة على يد أحد جيرانه لصالح قوات الاحتلال، فقُبض عليه، وأُعدم في أوائل عام ١٨١٠ .

لماذا تعرض هوفر للخيانة ؟

تشكلت مليشيا هوفر من الوطنين الذين لم يحظوا بدعم واسع من التيروليين، والذين كانوا خائفين بدورهم من الحرب، ومستعدين لإنهاء الأعمال القتالية. وادعى "فرانز رافل" الذي خان هوفر أن التخلص منه مثل "ضرورة سياسية لضمان السلام في جميع الأنحاء"[١١].

(١٠) مارتن، مصدر سابق.

(١٠) إيك ١٩٨٦، ص ١٩٠ .

وعلى الرغم من أن المقاومة بوتيرة منخفضة استمرت لبضعة أشهر بعد القبض على هوفر، فإن قطع رأسه أدى إلى نهاية مقاومة التايرول الواسعة.

هل أدى قطع رأس هوفر إلى انهيار التمرد؟

على الرغم من أن القوات (الفرنسية والبافارية) كانت في وضع قوة عندما قبضت على هوفر، فلا توجد أدلة تاريخية كافية للادعاء بأن نابليون كان سيغزو في نهاية المطاف تيرول لو لم يُقبض على هوفر. فقد كان جيش نابليون في الوقت نفسه غارقاً في حرب عصابات ضد المتمردين الإسبان في حرب شبه الجزيرة (الأيبيرية)[١٢]، وكان يعاني مجدداً من الصراع في تيرول، وغير قادر على النصر بالضربة الحاسمة التي كان صناع القرار الفرنسي يتوقعون أن تكون سريعة وسهلة.

وقد قلصت الحرب ذات الجبهتين قدرة نابليون على سحق العناصر الراديكالية داخل التمرد مثل هوفر. وتشير الأدلة التاريخية إلى أنه إذا لم يُقبض على هوفر، فكان من المحتمل أن ينجح في إعادة تنظيم المقاومة ضد الاحتلال، وربما كان قد طرد الفرنسيين والبافاريين خارج تيرول. وكان هوفر قد فعل ذلك مرتين سابقاً في ظل ظروف مماثلة، وكان في طريقه لإعادة تنظيم فرق من مقاتلين غير نظاميين لمعاودة القتال. وقد كان هوفر ملتزماً بحماس تجاه النضال ضد الاحتلال الأجنبي، ويبدو أنه كان سيواصل التمرد حتى لو كانت المشاعر العامة بين التيروليين مناهضة له.

وفيما يشبه حروب العصابات التي لا تنتهي أبداً في بورما وتايلاند، فربما تراجعت عصابات هوفر إلى مناطق مناسبة، لتواصل خوض تمرد منخفض المستوى على المدى البعيد، يُحتمل أن يؤدي إلى طرد الفرنسيين. ومع ذلك، بعد أن أعدم هوفر، كان قادته التابعون له والأقل راديكالية منه، غير مستعدين لمواصلة الحملة في ظل حالة عدم الرضا الشعبي عن استمرار القتال، فانتهى التمرد بعد وقت قصير من وفاة هوفر. وبإزالة العنصر الأكثر تطرفاً في التمرد، تمكن الفرنسيون من تهدئة تيرول.

---

(١٢) حرب شبه الجزيرة (١٨٠٧-١٨١٤) هي حرب دارت بين نابليون وحلفاء الإمبراطورية الإسبانية، وبين بريطانيا وإيرلندا والبرتغال للسيطرة على شبه جزيرة أيبريا أثناء الحروب النابليونية. (المترجم).



مذكرات الشيخ رفاعي طه (5)

سجلها عنه وحررها:محمد إلهامي

- هتفت في الذكرى الأولى لوفاة عبد الناصر: لقد مجدنا صنماً!
- لما أُعدِم سيد قطب أحرق أستاذي كتاب "معالم في الطريق" وهو في الصومال
- كان عصر عبد الناصر بوليسياً تتجسس فيه الزوجة على زوجها والابن على أبيه

لقراءة الحلقات السابقة:

- تمهيد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقة الأولى: طفولة بسيطة في قرية مغمورة بالصعيد المجهول
- الحلقة الثانية: أول الطريق إلى المسجد، وأول الطريق إلى السياسة
- الحلقة الثالثة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلامية
- الحلقة الرابعة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولة

عند نهاية الصف الأول الثانوي كان مدرس اللغة العربية في مدرستنا، واسمه "جمعة"، قد كلفنا بكتابة موضوع تعبير عن "دولة العلم والإيمان"، لقد جاء السادات بهذا الشعار في أول عهده، وكتبتُ موضوعاً أهاجم فيه السادات، قلت فيه: إن السادات ينافق الشعب، وشعار "دولة العلم والإيمان" مجرد كلام خالٍ من المضمون، فليس في البلد لا علم ولا إيمان.

تفاجأ الأستاذ جمعة حين قرأ موضوع التعبير هذا حتى أنه قرأه على بقية الطلاب، ثم هرع إلى الأستاذ عيد الرافعي فعرض عليه ما كتبت، ونصحه أن يتكلم معي لينصحني ألا أتهور كي لا أتعرض للسجن أو شيء من هذا، وجاء إليّ الأستاذ عيد فحمل لي مع نصيحته قصة أخرى كان يخفيها في طيات ذاكرته.

"حدثني أنه حين أُعْدِم سيد قطب (١٩٦٦م) كان هو في مقديشيو (عاصمة الصومال)، وما إن سمع في الإذاعة خبر إعدامه حتى هرع إلى النسخة التي كانت معه من كتاب "معالم في الطريق" فأحرقها فوراً... أحرقها في الصومال من شدة الخوف والبطش. وختم قصته بالنصيحة: "يا بني، الجدار له أذان! ولا يغرنك أن عبد الناصر مات فنحن لا نزال في دولة الخوف"."

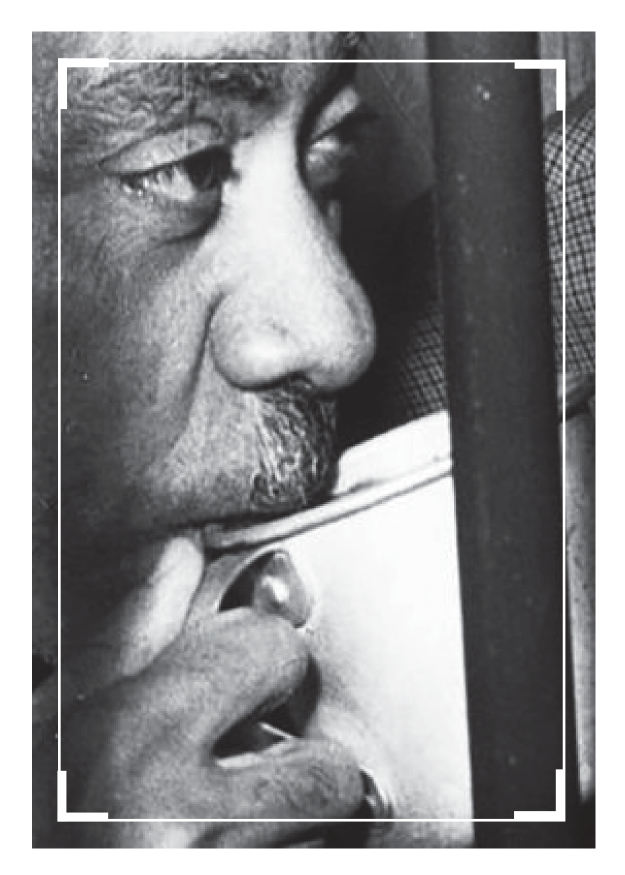
تداعى إلى ذهني كلام الأستاذ محمد الشاهد، ها هو نفس الكلام يتكرر، كأنما وجدتها فرصة لأستبين وأستوثق من الصدمة، سألته:

– هل تعني أن عهد جمال عبد الناصر كان فيه بطش وظلم؟

– بالطبع يا بني، لقد كنا نخشى الحديث حتى مع زوجاتنا في البيوت، كان الواحد يتجسس على أبيه وزوجته وأخيه وأخته.. كل الناس كانوا يتجسسون، أنا لم أكن أضمن ولا أجرؤ أن أقول شيئاً في بيتنا!

وطفق يحدثني عن العهد البوليسي الذي لم يأمن فيه أحد على نفسه، وأن الله قد رفع عن الشعب عبئاً ثقيلاً بموت عبد الناصر، وأنه يمكن حقاً أن يكون السادات صادقاً في شعاره "دولة العلم والإيمان" فما يظهر منه يدل على هذا، على الأقل صار المرء يستطيع أن يتكلم ويتنفس، وأخبرني في لهجة المتأثر: لو كنتَ كتبتَ موضوع تعبيرك هذا في عهد عبد الناصر لما كان أحد ليراك ثانية.. وعند تلك العبارة أخذ في البكاء.

عند تلك اللحظة اجتمعت عندي الروايات، رواية الرجل البسيط: الشيخ محمود عسران، مع الأستاذ محمد الشاهد، مع الأستاذ عيد الرافعي.



نعم.. نسيت أن أحكي ما قاله لي قديماً محمود عسران!

لقد حدثني الشيخ عسران مرة فقال: يا بني، لقد كان الملك فاروق رجلاً صالحاً حتى إن الناس لقبوه بـ "الملك الصالح"، وإنما العسكر شوهوا صورته حتى يُقال للناس كان فاسداً ونحن أفضل منه.

كان حديث الشيخ عسران حديث المتوجس الخائف، يحوم حول المعنى لا يريد أن يصرح به، لكن الصريح الواضح هي لهجته ومشاعره المنكِرة المستنكرة للعسكر وأفعالهم. أما أصرح الجميع فقد كان محمد الشاهد.

وليس من شك في أن حقبة عبد الناصر كانت سوداء قاتمة خصوصاً على أهل العلم والفكر والمبدعين، إلا أن كثيراً من الشعب المصري لم يشعر بهذا لقوة الضغط الإعلامي وبريق الشعارات المرفوعة التي تعلن الانحياز للفقراء. ولقد استفاد كثير من الفلاحين والعمال في فترة جمال عبد الناصر، لا سيما من قانون الإصلاح الزراعي، فبعد أن كان هؤلاء من المعدمين أصبح لديهم فدادين من الأرض الزراعية، فكانت نقلة لهم، صحيحٌ أنه لم ينقلهم إلى مرحلة الرفاهية كما حدث في عهد السادات لكنهم استفادوا على الأقل: صاروا ملاكاً من بعد ما كانوا أُجَراء!

وهكذا.. بدأت الحكاية بموضوع تعبير وانتهت إلى رسوخ فكرة سطوة وبطش وظلم عبد الناصر في عقلي وقلبي.

"جاءت الذكرى الأولى لوفاة عبد الناصر (٢٨ سبتمبر١٩٧١م)، كنت في بداية الصف الثاني الثانوي، وكانت المدارس تبدأ في أول سبتمبر أو في منتصفه، وأقيم في المدرسة حفل تأبين لعبد الناصر استمرت لأسبوع! فظل الطلاب والأساتذة يتبارون في مديح عبد الناصر وتمجيده في كلماتهم وخطبهم. لم يكن السادات قد كشر عن أنيابه بعد لجمال عبد الناصر، كانت السياسة لا تزال تخطب وده وود إرثه."

أزعم أني من أوائل من هاجموا جمال عبد الناصر، لقد بدأ حفل التأبين والتمجيد يوم الاثنين فيما أذكر، وكان الترتيب يضع كلمتي يوم السبت، فجاءني الأستاذ عيد الرافعي وقال: اكتب الكلمة التي ستلقيها واعرضها علي أولاً. قلت له: يا أستاذ عيد، إني سأرتجل الخطبة كعادتي، أشعر بالخجل إن قرأت كلمتي من ورقة، وأنت أستاذي وقد عودتني الثقة بالنفس، ولن تسمع مني إلا ما يسرك.

لم تطمئنه كلماتي تلك، فلما جاء يوم السبت، وقف -دون أن أدري- من خلفي، وكان -كما أخبرني فيما بعد زميلي سيد محمود عبد الرحمن- قلقاً ومضطرباً، يحرك رجلاً ويضع أخرى.

تقدمت خطيباً فقلت:

الحمد لله وكفى، وأصلي وأسلم على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فقد تقدم كثيرون وامتدحوا جمال عبد الناصر، لكن لي رأي آخر. نحن كشباب وكأبناء هذه البلاد بل وكأبناء لهذه الثورة، فكلنا وُلِد بعد ١٩٥٢، وأنا قد وُلِدت ١٩٥٤ وترعرت في ظل حكم جمال عبد الناصر، وأنا مسؤول تثقيف وحدة بندر ادفو لمنظمة الاتحاد الاشتراكي العربي التابعة للاتحاد الاشتراكي، ومع ذلك يؤسفني أن أقول: كل هذا كذب.. كذب وافتراء! لقد مجَّدنا رجلا صنماً ....

عندها انتفض الأستاذ عيد الرافعي واختطف مني الميكروفون، وصاح: "ابننا رفاعي لا يقصد هذا، لكن خانه التعبير.. هو قصد أن جمال عبد الناصر معبود الجماهير فكل الناس تحبه، ولا يعني أنه صنم بمعنى الصنم...".

انتهى الطابور، واستدعاني الناظر إلى مكتبه، "يا ابني انت مش عايز تجيبها البَرّ (لا تريد أن ينتهي الأمر على خير)، ويبدو أنك لن ترتاح إلا حين تُفصل من المدرسة.. لم تنتهِ كلمتك إلا واتصل بي جهاز الأمن يريدونك أن تذهب إليهم.. من أين تأتي بهذا الكلام؟ نحن لا نقوله هنا.. وإذا سألوك فقل لهم إنك لم تسمعه من أحد هنا.. أنت ولد طيب و"غلبان".. وأبوك رجل "غلبان".. أنت كده بتودي نفسك في داهية (تلقي بنفسك إلى التهلكة).. وهتودينا معاك كلنا في داهية.. والمفترض بي الآن أن أصدر قرار فصلك من المدرسة"!



ظل الأستاذ عيد الرافعي يترجاه ويتوسل إليه ألا يتخذ قرار الفصل من المدرسه، طفق يقول: اعذره يا حضرة الناظر، إنه ابننا، مثل ابني علي، ومثل ابنك.. ورفاعي متفوق، ولا نريد أن يضيع مستقبله.. إلخ!. كان موقف الأستاذ رفاعي أبوياً وصادقاً، وكان من رجاءاته أن يؤجل أمر الفصل إلى حين نرى ما سيصنع في أمن الدولة، فلربما الأمر لن يستدعي.

ولم تنتهِ الحصة الأولى حتى كان بالمدرسة اثنان من المخبرين قد حضروا ليأخذوني إلى أمن الدولة.

كيف تبني تنظيماً ثورياً (١)

د. عمرو عادل



مقدمة

أصبحت على قناعة شبه محسومة أن هناك أربعة عناصر رئيسية لابد من توافرها مجتمعة لحدوث ثورة أو ثورة مضادة حقيقية، مهما كانت الدوافع والمقدمات والمرجعيات الفكرية، هذه العناصر الأربعة هي:

١ - الأفكار الكلية (العقيدة أو الأيديولوجي)، وهناك فارق ما بينهما ليس هذا مجاله .

٢ - الجماهير الغاضبة (مهما كان سبب غضبها؛ حقيقياً كان أو زائفاً مصنوعاً).

٣ - القيادة (سواء كانت قيادة ثورية حقيقية من قلب الجماهير لبناء ثورة، أو مصنعة فوقية لبناء أو دعم ثورة مضادة).

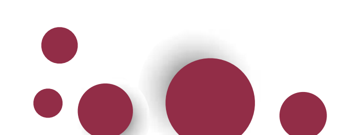
٤ - التنظيم الثوري (تنظيماً جماهيرياً ثورياً، أو تنظيم الثورة المضادة).

وقد قامت الثورة المضادة بإكمال تلك العناصر الأربعة قبل أن تتحرك سنتيمتر واحد في كل تجاربها لمواجهة الثورات العربية، صحيح أن غالب العناصر كانت مصنوعة وخادعة؛ إلا أنها التزمت بالنموذج، وربما نموذج مصر هو الأكثر وضوحاً.

فقد بني نموذج من الأفكار يعتمد على فكرة الوطنية والدولة القومية، ولعدم قدرة ذلك فقط على تحقيق الهدف؛ صنعت الثورة المضادة عداء ضخماً للغاية ضد أيديولوجية ما (عقيدة)، واعتبرتها عدوا، واعتبرت وروجت أن هذا العداء هو فكر متكامل في حد ذاته، كما قام بكل ما يمكنه لتكوين كتلة من الجماهير الغاضبة بكل ما يمتلك من أدوات، وقام بترميز قيادة زائفة ممثلة في القوات المسلحة وقائدها، وعلى مستوى التنظيم؛ فالثورة المضادة تمتلك من التنظيمات الخاصة بالأمن والمعلومات والقوة المسلحة، ما تجعل دائماً تشكيلات مؤسسات الدولة تنظيماً جاهزاً للثورة المضادة. إذا كانت الثورة المضادة تمتلك التنظيم الجاهز وكانت تمتلك الأفكار المعادية للتيار الإسلامي أو أي تيار يمكن الشعب والجماهير من الموارد والسلطة، إلا أنها لم تتحرك قبل اكتمال العنصرين الآخرين (القيادة والجماهير الغاضبة)، واستمرت عامان ونصف في تجهيز هذين العنصرين، وعندما اكتمل مربع الثورة - إن جاز التعبير - تحركوا بكل قوة لاستعادة السلطة وسحق الثورة.



ولذلك فإن الحرب تكون بين الجانبين على تفتيت هذه المحاور الأربعة أو أحداهما على الأقل، فالجماهير الغاضبة الحقيقية والأفكار دائماً جاهزة في مساحة الثورات، بينما القيادات "حتى لو زائفة" والتنظيم في الغالب جاهزة مع الثورة المضادة، ودائماً ما تقاتل الأنظمة في ترميز قادة لملء هذا الفراغ، بينما تستميت للقضاء على أي رمز أو تنظيم ينتمي لمساحة الثورة، وبالتالي فأحد أهم أهداف التنظيم الثوري هو تفتيت ما تملكه الثورة المضادة من تنظيم، وتشويه للقيادة الزائفة التي صنعتها الثورة المضادة.



فقد تبدلت المواقع وأصبحت الثورة المضادة تمتلك زمام الأمور في مصر وغيرها، وأصبح من الحتمي على قوى الثورة - بالإضافة لتفتيت ما تملكه الثورة المضادة - بناء ما ينقصها من المحاور الأربعة حتى تستطيع الدفع بموجة ثورية قادمة حقيقية لا تعطي فرصة للثورة المضادة القدرة على استعادة زمام الأمور.



في سلسلتين سابقتين تحدثنا عن إجراءات المقاومة للشعوب والتي ينبغي أن تفعلها، وكذلك الإجراءات اللازمة لتفكيك أدوات السلطة التي يمتلكها النظام، وهاتان النقطتان مرتبطتان بوجود قوى ما تدير عملية التنفيذ والعمل على الأرض، ومن المعروف ضمناً أن أي عمل كي يتم لابد من وجود "مؤسسة" ما لفعله، والعمل الثوري بالتأكيد يحتاج لمؤسسة أو مؤسسات ما لفعله، وهو ما سنطلق عليه التنظيم الثوري، وهو ليس مؤسسة نمطية نظراً للظروف المعقدة التي ينشأ بها التنظيم ولعظم الهدف الذي تسعى له.

الآن نمتلك ضلعان من "مربع الثورة"، الجماهير الغاضبة وهي الأصعب والأكثر جهداً بالنسبة للثورة المضادة من الناحية التنفيذية للحصول عليها، وتحتاج لإمكانات كبيرة مادية وإعلامية للحصول عليها؛ أما الثورة الحقيقية فهي في الغالب تملأ الجماهير الغاضبة وتنتظر لحظة الخلاص، كما أن سياسيات الاحتلال بالوكالة والظلم والاستعباد أدت إلى وجود فائض في الغضب، ومن الواضح أن الثورة تمتلك من الأفكار المؤسسة "الأيديولوجيا" ما يكفي، وبقي ضلعان يحتاجان للتأسيس، التنظيم الثوري والقيادة، والسؤال المكرر أيهما ينبغي أن ينشأ أولاً؟

أرى أنه من الصعب الحسم بإجابة قاطعة في هذا المجال، وما يمكن قوله إن الظروف تحتم اتخاذ طريق ما، وأرى أن طبيعة الأمور في مصر ولصعوبة الوضع الأمني والتضارب في الرؤى وغياب القيادات الكبرى داخل معسكرات الرهائن وغياب التنظيمات التي يمكنها تبني بناء التنظيم الثوري نظراً لطبيعتها الفكرية والتنظيمية؛ تحتم على الثوار البدء في العمل التنظيمي لإنشاء تنظيماتهم الثورية، وأعتقد أن هذا المسار سينتج القيادات الثورية الحقيقية التي ستتمكن من قيادة العمل الثوري الميداني.

لذلك فإن اكتمال مربع الثورة بالعنصرين المفقودين حتى الآن يبدأ ببناء التنظيم الثوري، الذي سينتج الضلع الرابع والحاسم في المد الثوري.

اتفقنا إذا - أو هكذا أظن - على أن إنشاء التنظيم الثوري هو واجب الوقت لكل المؤمنين بضرورة التحرر من الاستعباد والاحتلال بالوكالة، والهدف الرئيسي هو خوض حرب التحرير، والمؤكد أن معارك اليوم هي أكثر شرفاً من المعارك التي كنا نخوضها ضد الاستعمار المباشر. وأن بناء تلك التنظيمات "التنظيم" هو المسار الواجب للثوار.

والتنظيم هو مؤسسة لتقوم بوظيفة أو مهمة ما، ولاستحالة بناء تنظيم واحد كبير "خاصة في البدايات"؛ فمن الأفضل في حالة الثورة أن تتكون عدة تنظيمات كثيرة وغير مترابطة ولكنها مؤمنة بهدف واحد وهو ضرورة خوض معركة التحرير، والتنظيم لا يعني بالضرورة أعداداً كبيرة، فربما يكون التنظيم كله فرد واحد.

ويجب الانتباه أن آخر ما يحدث في الحروب هو المواجهة المسلحة، فهناك الكثير والكثير حتى تنتصر في الحرب الثورية التي قد تكون إحدى أدواتها الهامة القوة المسلحة.

ومراحل تطور التنظيم الثوري يمكن تحديدها بثلاثة أطوار، ودائماً ما تكون المرحلة الأولى هي الأخطر والأكثر صعوبة،وهي ما سأحاول مناقشته على مدى عدة مقالات متتابعة.

١ مرحلة التكوين والبناء
٢ مرحلة الصدام
٣ مرحلة المواجهة الشاملة

وتعاني هذه المرحلة من عدة مشاكل تؤدي إلى تفتيت الأنوية الثورية الناشئة قبل اكتمال نموها:

١ التسرع في الدخول لمرحلة الصدام.
٢ عدم الاختيار الدقيق للعناصر في حالة تكوين أنوية مما يؤدي إلى الاختراقات.
٣ عدم الإلمام بالعناصر الرئيسية اللازمة لبناء تنظيم متماسك يصعب القضاء عليه نهائيا، وقادر على إعادة إنتاج نفسه.
٤ الرغبة في تكبير حجم التنظيم دون الحاجة ربما لذلك، وكذلك التسرع في الدمج بين الأنوية الثورية.

ربما أصل كل المشاكل السابقة هو وجود قيادة فوقية غير منتجة من التفاعل الجماهيري، وهي في الغالب تكون من القيادات البرجوازية أو الحزبية القديمة، والتي ترغب دائماً في الوقوف بالمد الثوري عند نقطة ما لا تضر بمصالحهم الفكرية أو الاقتصادية، فوجود قيادة فوقية في الغالب يعني رغبتها - سواء بنية حسنة أو سيئة - بالإسراع في جني ثمار المقاومة، وربما استخدامها للوصول لحل توافقي ما مع العدو، هذا النمط من التفكير يعتبر من أكبر أعداء الثورة بل هو المدمر الأكبر لها، وبالتالي فإن خروج القيادات من قلب الجماهير ونتيجة للاحتكاك والخبرات الجماهيرية المتراكمة هو السبيل الوحيد لبناء تنظيم جماهيري حقيقي قوي يستطيع الصمود.



وبعد مناقشة خطورة التسرع في التحرك للمرحلة الثانية؛ لابد من تحديد عدة عوامل رئيسية يتحتم وجودها في أي تنظيم ثوري، حتى لو كان التنظيم كله من شخص واحد كما سنرى لاحقا.

ليست القوة هي النقطة الأولى بل يسبقها الأمن، وهو الأمن الشخصي للتنظيم "فرداً كان أم أكثر"، ويسبقها أيضا نظام معلوماتي للخلية أو التنظيم ككل، ولكن هناك نقطة مفصلية أن الرغبة في الوصول إلى اكتمال هذه العناصر قبل البدء هو خطأ بالغ ومدمر، كما أن التسرع دون وجود حد أدنى هو أيضا مدمر، وهذه الأمور لا يمكن قياسها نظريا، ولكنها تعتمد بالأساس على القيادة الميدانية وطبيعة الظروف المعقدة التي تحيط بها، والتي لا يمكن تثبيت تفاصيلها بين أي من الأنوية الثورية، فقط يجب الالتزام بوجود الحد الأدنى اللازم للمحاور الثلاثة.

توجد العديد من الإصدارات حول كيفية بناء منظومات الأمن والحصول على المعلومات، سنستعرض خطوطها العريضة لاحقاً، كما أن أدوات القوة سنحاول توضيحها أيضاً، ومن المهم في نهاية هذه المقدمة التأكيد على أن بناء التنظيم الثوري مهما كان حجمه ليست بالعملية السهلة وتحتاج لمهارات وقدرات ذاتية أو مكتسبة للقيادات والثوار، وكلما زاد حجم التنظيم كلما كانت الصعوبات والمخاطر أعلى وتحتاج لمساحات آمنة وهذا ربما غير متوافر في الوقت الراهن، ولذلك فالأفضل عدم التفكير في بناء تنظيمات كبيرة نسبياً في البدايات والاكتفاء بأنوية مبعثرة غير مترابطة تمتلك الحد الأدنى من المهارات المطلوبة للعمل.

وكل المجتمع في كل الجغرافيا يمتلك من الكوادر القادرة على بناء الأنوية الثورية من عمال وفلاحين وموظفين وطلاب وغيرهم من قطاعات المجتمع، ومن الخطأ البالغ قصر مساحة التنظيم الثوري على المواجهة المباشرة مع النظام أو المحتل، ولكن حجم عمل التنظيم الثوري يشمل كل شيء من مساحات القوة الناعمة والخشنة التي يمكنها كما ذكرنا في البداية تفتيت سلطة النظام أو رفع كفاءة المقاومة للمجتمع، فالتعليم خارج المدارس والقضاء الموازي والإعلام البديل وتحطيم نفسية العدو بكل الوسائل كلها جزء من عمل التنظيم الثوري، وكل من يقوم بذلك هو جزء من بنية التنظيم الكبير الذي لا نعرفه بعد، ولكنه لن يتكون إلا بهذه الأنوية الصغيرة حتى لو من فرد واحد، وهم في لحظة ما سيكونون الطليعة الثورية القادرة على بناء النظام الجديد.

في المقال التالي قبل الحديث عن المحددات الأمنية ونظم المعلومات سنستفيض أكثرفي مجالات العمل الثوري الواسع والمحاور الرئيسية له.



قصيدة ..

" زيِّنت جيدَكَ بالمشانق "

أحمد والي

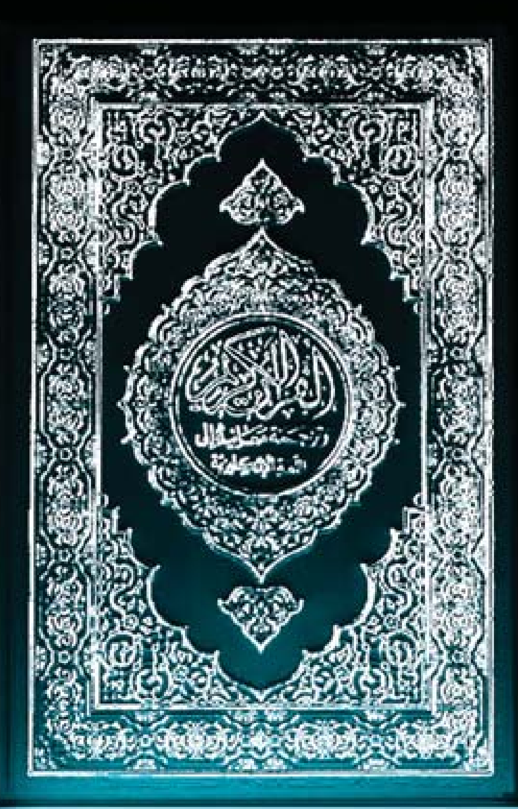
تأبينا وعهدا منا لكل من سقطوا شهداء في مواجهة الطواغيت، ونالوا شرف الارتقاء بمشنقة الاعدام، نقول لهم نحن على الطريق حتى نقيم الشرع وننجز الثأر.

تألّـَق فـي السمـاء وزِد جـلالا .. فقـد شـرَّفـت بالطهـر الحبالا
تمايل فـي الدُّنـا جسدًا تدلَّـى .. وتِـهْ قلبًا إلـى الأخـرى تعالى
خَلُدْتَ ولـم يعشْ أبنـاءُ عهرٍ .. وفـاق ثبـات جأشكـمُ الجبالا
وظنـوا قتلكـم سينـال منـكم .. فأفسـح فـي الخلود لكم مجالا
أرادوا عيــش ذلٍ قـلت : كـلَّا .. وكنت بسـاحـة الهيجـا مثالا
ولـم تركـن لمنبطـحٍ تخلَّـى .. ولـم تـــترك بمُعْتَـرَكٍ نـزالا
ولـم يُرهبـك طاغـوتٌ حقيـرٌ .. ولـم تشغـل بـه فـي الحقِّ بالا
ولا خـذلان"أشيـاخ الموالـي" .. ولـو خـرجـوا لـزادونا خبـالا
صبـرنا والنـوائـب مهلكـاتٍ .. وكـل جراحنـا تأبـى انـدمالا
ومـن صـور العذاب المرِّ ذقنا .. تضيـق بـه العمالقـة احتمالا
فغـرّهم مـن الأبطـال حِلمُ .. وعـربـد بطشهـم فينا اعتمالا
إلـى سـاح الجهـاد الآن قوموا .. ألا هُـبُّوا خِفـافًا أو ثقـالا
نحـاورهـم برشَّـاشٍ أبـيٍّ .. وبالعَبْـوات نُبلغهـم مقـالا
فليس السِّلْـم يُجدي فـي أناسٍ .. رأوا فـي دمِّنـا المـاء الـزلالا
فلا يجـدي مـع الأنجـاس إلا .. أزيـز النـار تُسقيهـم وبـالا
وترديهـم بحـول الله صرعـى .. ولا تُبـقي لطاغيـةٍ ضـلالا
وتُخـرس كـل أفَّـاكٍ رمانا .. وتُلجِمهم من الخـوف النعـالا
إذا الأعراض قـدْ هتكـوا حماها .. فـلا تسْتَفْتِ فـي دمهم سؤالا
فإن دماءهـم لا شـيء فيـها .. وأقسـم أنهـا صـارت حلالا

للشاعر د.أحمد والي (شاعر الورود والبارود)

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



مفهوم الجهاد الشرعي

د. سفر الحوالي

القوة في السياسة الشرعية (3)

د. وصفي عاشور أبو زيد

الأكذوبة الكبرى (2)

د. عطية عدلان

عن امرأة هزمت التعب

لمى خاطر

الحق والوعود في فلسطين

عطية صقر

كلمة حق | العدد الثالث عشر ، أغسطس ٢٠١٨

www.klmtuhaq.blog

الجهاد هو بذل الجهد، ومن أنواعه القتال، ولما ذكر الله تعالى شراء الأنفس وبين فضل قتال الكفار، أعقب ذلك بقوله:(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة : ١١٢].

وليس الجهاد محصورا في قتال الكفار فقط، فكل من جاهد نفسه في طاعة الله فهو مجاهد، وكل من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهو كالمقاتل في سبيل الله وربما أعظم منه لأنه يحافظ على رأس المال الذي إذا ذهب لا ربح بعده.

قال ابن كثير في تفسير آية الشراء المتقدمة من سورة التوبة: "هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم"، وقال: "وهم مع ذلك ينصحون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه عملا وانقياداً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق" اهـ.

مفهوم الجهاد الشرعي

د. سفر الحوالي فك الله أسره[1]

(١) من كتاب "المسلمون والحضارة الغربية" ص: ٢١٧٤ وما بعده.

وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر كما ثبت في الحديث، ومن رحمته تعالى أن جعل الجمع بين أنواع من الجهاد ممكن، فما على فاعل ذلك من تبعة.

والجهاد ليس فيه أكبر وأصغر وفق زعم بعض الصوفية، إذ يجعلون قتال الكفار أصغرا، وإنما فيه أفضل وفاضل كما في الحديث وكلاهما كبير.

ومن قتال الكفار ما هو فرض عين ومنه ما هو تطوع، أما طاعة الله فهي فرض عين على كل مسلم حسب طاقته، كما أن الهجرة قبل فتح مكة كانت فرض عين وبعدما فتحت مكة أصبحت هجر ما نهي الله عنه، وقد يقتضي ذلك الانتقال من بلد لآخر.

وعلماء الإسلام يجب عليهم الجهاد الأفضل ما استطاعوا إليه سبيلا، وإذا تخلّوا عنه أصبحوا كالحجر في الساقية، بل ربما من قطّاع الطريق إلى الله كما ذكر ابن القيم، ولا يجوز لهم تأويل كل ما يفعله الحكام، فإن الأصنام إنما عُبدت بالتأويلات ومن كان منهم عاجزا عن قول الحق فليعتزل ولا يقل الباطل، ولا يخدر الأمة بالثناء على من يعطيه الراتب!

والجهاد في سبيل الله -بمعنى القتال- أجره عظيم وفضله كبير، يرفع الله به من شاء من خلقه، وهو المراد بالجهاد إذا أطلق.



ووجوب الجهاد لا يعني تقحم المراحل أو إغفال بعض أنواعه التي لا يتم إلا بها ولا بد منها، فالله تعالى جعل لكل فريضة وقتها، ولا يقبل ممن صلى الظهر مثلا قبل الزوال، ولم يأذن للأنصار ليلة العقبة أن يميلوا بأسيافهم على أهل الموسم، وهكذا، فلكل شيء وقته ولكل مرحلة تعاملها.

> وعقيدة أهل السنة والجماعة متسقة مع العقل في كل شيء، ومن ذلك أن الناس كما يتفاوتون في الإيمان يتفاوتون في شُعبه، فليس كل أهل لا إله إلا الله سواء، وليس كل المصلين سواء، وليس كل الذاكرين سواء، وليس كل المستحين سواء، وليس كل مميطي الأذى عن الطريق سواء وهكذا.

وهذا التفاوت وارد في القرآن، فليس من أنفق وقاتل قبل الفتح كمن أنفق وقاتل بعده، وليس الأعراب كالمهاجرين وإن كان ما لديهم من الإيمان يسمى إسلاماً.

كما أنه ثابت بالسنة فليس من أسلم متأخراً مثل سيف الله خالد بن الوليد كالسابقين الأولين من مثل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، ولما اختلفا زجر النبي صلى الله عليه وسلم خالداً.

ولما قال أحد الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم أين أنت من فلان إني لأراه مؤمناً، قال له النبي صلى الله عليه وسلم (أوْ مسلمًا).

ولما جيء له صلى الله عليه وسلم بأحد الصحابة أقام عليه حدّ الشرب ولما قال أحدهم "لعنه الله كم يشرب"، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله).

وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم حكم أن بعض الناس لا يقبل الله منه عدلا ولا صرفًا، وقال: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم).

وقال الله تعالى: (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) [النساء : ٩٥] وأمثال ذلك كثير.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر السلف في ذلك لا يحصى.

ومن مجموع هذه الأدلة نوقن أن بعض أنواع الجهاد أعلى من بعض، وأن المجاهدين متفاوتون فيه. ومن قاتل من أجل مُلْك أحد أو من أجل القومية أو الوطنية أو قاتل من أجل شيء وكله الله إليه.

وقد قتل قزمان سبعة أو ثمانية من المشركين وقال الصحابة إنه شهيد، فقال صلى الله عليه وسلم: (بل هو من أهل النار)، فلماذا ذهبوا إليه قال: إنما قاتلت عن أحساب قومي، فالقومية أضيق من الوطنية وتجعل من قاتل لأجلها غير شهيد.



وكذا من قاتل ليقال شجاع أو قاتل لأجل الراتب، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أجد له إلا الدريهمات تلك)، ومثله من قاتل ليترقى في الرتب العسكرية.

وقد روى صاحب الصحيح أن أبا برزة الأسلمي قال: (اللهم إني أحتسب عندك أني أصبحت ساخطا على كل هؤلاء)، ثم ذكرهم وقال: (إنهم يقاتلون على الدنيا).

وقال الصحابة (رضي الله عنهم) عن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له كركرة، "هنيئًا له الشهادة"، فقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها لتشتعل عليه نارًا).

ونحن مأمورون بقول الحق والعدل مع الأفراد والجماعات والأحزاب والدول والحضارات، والعدل مع المسلمين أولى.

فلا نغمط الإخوان المسلمين مثلا فضلهم وجهادهم ولا نبخسهم أشياءهم ولا نفضل السيسي عليهم، ولا نقول إنهم جماعة إرهابية ولا نسميهم الاخوان المفلسين، بل نذكر ما نعلمه عنهم من الصواب والخطأ، وسوف يسألنا الله عن كل قول قلناه (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

والإخوان منهم المحافظون ومنهم دون ذلك، والحكم عليهم جميعا خطأ، وإنما كل امرئ بما كسب رهين.



وأعظم مآثر (الإخوان المسلمين) مثلا هي جهادهم في حرب السويس، الذي كتب عنه كامل الشريف، وأكبر أخطائهم ترك الجهاد ومع ذلك لم يسلموا بل وصفوهم بأنهم إرهابيون وصنفوهم كذلك.

يسلموا بل وصفوهم بأنهم إرهابيون وصنفوهم كذلك.

وقد أسس الشيخ حسن البنا -رحمه الله وتقبله شهيدا- جماعة الإخوان المسلمين، لتكون حركة دعوية تجديدية، لا لتكون حزبا سياسيا معارضا يؤمن بالديمقراطية، وكتب الوصايا العشرين وغيرها لتكون مصدرا دعويا للإخوان، وكان الشيخ متأثرا بدعوة الإخوان في جزيرة العرب، وجعل الجهاد ركنا ركينا من دعوته، ولكن الإخوان المتأخرين انحرفوا عن دعوته، وأصبحت حزبا سياسيا ولا يكادون يذكرون الدعوة والمهمة الأساسية للحركة، ولا يذكرون الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، ويقولونه في شعارهم المشهور "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا"، وكذا في نشيدهم:

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل

واشتغلوا بالأعراض عن المرض نفسه كإلغاء فلان للديمقراطية، بل يقولون نحن سلميون، ولم يمنع ذلك أن يتهمهم أعداؤهم بالإرهاب!! ويقولون إن فلانا انقلب على خيار الشعب وعلى الديمقراطية، وفي عهده تدهورت الأوضاع الاقتصادية، وهذا صحيح في ذاته، لكن ليس هو الداء، وصار أكبر همَّ بعضهم الحصول على حقيبة وزارية أو مقعد في البرلمان، بل إن بعضهم أصبح من ركائز الطواغيت، الذين قامت الحركة أساسا لتخليص الأمة منهم، وهكذا تداخلت الأهواء الشخصية مع الأهداف الدعوية وبعضهم يدعو إلى العلمانية وهو لا يشعر.

وبعضهم ذهب لأبعد من ذلك فتحالف مع الشيوعيين أو الاشتراكيين أو غيرهم من المعارضين. وبعضهم يقول إنه حزب وطني محلّي، أي أنه يؤمن بالتقسيم الذي وضعه (سايكس وزميله بيكو)، واستدرجهم أهل الكتاب ليدخلوا اللعبة السياسية ففعلوا، وبعضهم يقول إن كون الدستور الفلاني فيه عبارة دين الدولة الإسلام كاف!! ولا حاجة للمطالبة بتطبيق الشريعة، وخير من الإخوان من جاهد وجهاد اليهود هو جهاد المرحلة.

أما الجماعات الجهادية فأكبر أخطائها هو أنها حصرت الجهاد في أحد معانيه، وهو القتال، وأهملت الأنواع الأخرى وذمت أهلها وأهدرت دماءهم وجعلتهم مرتدين، مع أن الأنواع الأخرى مذكورة في القرآن والسنة ومنها:

أ - الجهاد بالقرآن (وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [الفرقان: ٥٢]، وهو الدعوة والمجادلة، ويدل عليه قوله تعالى عن الوالدين: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) [لقمان: ١٥].

ب - دهاد المنافقين (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة : ٧٣].

ت - الصدع بالحق، قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)، وقال: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)، ولذلك كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها جهادا.

فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة إلا مجاهدا؟

وهل كان حين أرسل المهاجرين إلى الحبشة إلا مجاهدا؟

وهل كان في صبره على الأذى وتحمله لما يقوله عبدالله بن أبي وحزبه إلا مجاهدا؟

وهل كان حين همّ المنافقون باغتياله وهو قافل من تبوك إلا مجاهدا؟

وهل كان حين عقد صلح الحديبية إلا مجاهدا؟

وهل كان حين يستقبل وفود العرب إلا مجاهدا؟

وهل كان وهو ينذر عشيرته الأقربين، ويجادل الكفار، ويبلِّغ شرع الله لعامة الأمة إلا مجاهدا؟

وهل كانت مناظراته لليهود وذهابه لبيت المدراش إلا نوعا من الجهاد؟

وهل كانت مناظرته لنصارى نجران إلا نوعا من الجهاد؟

وهل كانت مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وتكفله بالنفقة على أهل الصفة ويتامى بدر إلا جهادا؟

وهل كان بناؤه للمسجد إلا جهادا؟

وهل كانت إقامته للحدود إلا جهادا؟

وهل كان دعاؤه ربه إلا جهادا؟

وهل تواضعه للفقراء والعجائز إلا جهادا؟

وبالجملة كانت كل أعماله العسكرية والتعليمية والاقتصادية والسياسية جهادا، فجاهد في الله حق جهاده حتى لقي ربه وهو عنه راض.

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم)، وابحث بنفسك عن سبب النصر والتنمية الدائمة والرفاهية الحقيقية!! وهل ذلك يتحقق بالقتال وحده؟

وانظر أي خطأ يرتكبه الذين يحصرون الجهاد في بعض أنواعه، أو يجعلونه صراعا بين قوى شريرة وحشية ظالمة من جهة، وبين قوى خيرة أخلاقية عادلة من جهة أخرى كالغرب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الجهاد منه ما يكون باليد ومنه ما يكون بالقلب والحجة والبيان والدعوة واللسان والبذل والصناعة" أهـ، وفي زماننا هذا أصبح الإعلام من أخص أنواع الجهاد وأهمها، وأصبحت مواقع العدو الاليكترونية من أكبر أهداف المجاهدين! وأصبح اختراق مواقعهم أكثر تاثيرا من قتل قادتهم.



ولا يصح حصر الجهاد في بعض أنواعه مهما كان عظيما، كما لا يصح حصر الرسالة في محمد صلى الله عليه وسلم ، أو حصر ما أنزل الله في القرآن وحصر الإسلام فى هذه الأمة، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل، والقرآن هو أفضل الكتب، وهذه الأمة هي أفضل الأمم.

والجهاد ليس فرض عين في كل الأحـوال، بل حسب المصلحة الشرعية، وإنما يكون الجهاد فرض عين في ثلاثة مواضع:

أ - إذا استنفر الإمـام المسلمين كلهم، كما فعل صلى الله عليه وسلم عام تبوك.

ب - إذا دهمهم العدو وجاء إلى بلادهم، فيجب على أهـل تلك البلاد الدفع عن أنفسهم ويجب على المسلمين نصرتهم وإمدادهم بالمال والدعاء وبأي وسيلة ممكنة.

ت - إذا حضر المجاهد بين الصفين، لم يجز له الفرار من الزحف، وقد قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ..) [التوبة : ١٢٣].

وأكثر الفقهاء على أن حكمه العام فرض كفاية، قال ابن القيم: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد"، ورجح أن الجهاد بمعنى القتال فرض كفاية وكذا قال ابن كثير.

وقال ابن القيم: "والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد، على كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية". واستدل ابن كثير على أن القتال باليد فرض كفاية بأنه تعالى أمر المؤمنين أول الأمر بكف اليد.

هذا ويجوز قول فلان شهيد لمن علم القائل أنه مات شهيدا أو غلب ذلك على ظنه، والدليل قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ) [البقرة : ١٥٤]، وقول الصحابة رضى الله عنهم بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان شهيد، وفلان شهيد، وأقرهم على ذلك حتى قالوا "فلان شهيد"، فقال: (كلا والله إني رأيته في النار في بردة غلّها)، رواه مسلم.

لكن لا يكون ذلك على سبيل الجزم، وإنما على سبيل الرجاء خروجا من الخلاف في المسألة.

ولا شك أن قتال الكفار له في الدين مترلة عالية وفضل عظيم، ولكن غيره أهم منه وقد يقدَّم عليه في النصوص لا سيما الإيمان بالله.

وإنما يكون فرض عين في حالات معينة تقدم ذكرها، وحتى في هذه الحالات لا يكون كل الناس حاملين للسلاح، بل كلٌّ يجاهد في ميدانه، فالإمام أحمد مثلا صبر على الأذى والجلد، ولو أنه ذهب إلى الثغر لما فعل من ذلك شيئا، ولربما فعل بعض العوام أكثر منه، وصبره هذا من أعلى أنواع الجهاد.

قال شيخ الإسلام: "والواجب أن يعتد في أمر الجهاد برأي أهل الدين الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا"، فلا بد من الرأي ومن معرفة الواقع. والدعوة مقدمة على القتال حتى في حالة قتال العدو أو محاصرته.

قال صلى الله عليه وسلم: (لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيهن أجابك فاقبل وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم..) الحديث.

وقد يكون الجهاد فتحا سياسيا للدعاة يُسلم به كثير من الناس، وقد سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحا مبينا مع أنه لم يكن فيه قتال بل رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعتمر تلك السنة.

> وسمى الرسول صلى الله عليه وسلم الانسحاب يوم مؤتة فتحا كما في الصحيح، مع اتفاق أهل السيرة على أن المسلمين إنما رجعوا، وجهز عليه الصلاة والسلام أسامة ليأخذ بثأر أبيه، وأخبر صلى الله عليه وسلم باستشهاد قادة المسلمين في ذلك اليوم: زيد وعبدالله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب.

وعاد صلى الله عليه وسلم عن حصار الطائف، ونهى عن قتال الترك والحبشة، وقال: (جاهدوا المشركين بأيديكم وأموالكم وأنفسكم)، وجعل انتظار الصلاة إلى الصلاة رباطا.

والدعوة عامة لكل الناس (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ : ٢٨]، وليس القتال كذلك.

ويجب البدء في الجهاد بأشد الناس عداوة للذين آمنوا وهم اليهود كما بين الله.

> ومن ترقى في درجات الإيمان، أعطى كل مترلة حقها وعرف أن الترتيب واجب، وأن الأهم مقدم على المهم، وأن واجب الوقت مقدَّم على غيره، وشرط ذلك كله هو الإخلاص لله، فمن قاتل فليكن قتاله لله، ومن دعا فلتكن دعوته إلى الله، ومن تعلم فليكن علمه لله ومن قرأ فلتكن قراءته لله، ومن تصدق فلتكن صدقته لله، وإن أعطى فلله، وإن منع فلله، وإن والى فلله، وإن عادى فلله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ”من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات، لما احتيج إلى القتال، فبيان الإسلام وآياته واجب مطلقا وجوبا أصليا، أما الجهاد فمشروع للضرورة، وإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وأعلامه ابتداء ودفعا لمن يطعن فيه، فهو واجب بطريق الأولى“ اهـ

* * * * * *



القُوَّة في السِّياسةِ الشَّرعِيَّة (٣)

د. وصفي عاشور أبو زيد

المبحث الخامس

ضوابط القوة في السياسة الشرعية

إذا استخدمت القوة في السياسة الشرعية من قبل الحكام والولاة دون أن تكون مضبوطة بضوابطها فإنها تصاب بالنزق، وتسيء من حيث أرادت الإحسان، وتفسد من حيث أرادت الإصلاح، وتهدم من حيث أرادت البناء، وتحطم حياة الناس من حيث أرادت الخير لهم في المعاش والمعاد.

وإذا استخدمت من غير الحكام والولاة فهي صادرة من غير أهلها، وغالبا ما تكون في غير محلها، وفي هذا من الخطر على المجتمع وأمنه ما لا يخفى، والحديث هنا على المجتمعات ذات الحكم الرشيد، التي لا يحاربها حُكامها ولا يعملون ضدها لصالح أعدائها ولا يذيقونها الويلات والمذابح تلو المذابح، وإلا فإذا استخدمت فئة مظلومة القوة للدفاع عن نفسها ودفع الصائل المعتدي على العرض والدين والمال والنفس بما يراعي المصالح والمفاسد ومقاصد الشرع، فلا تكون ملامة شرعاً ولا عقلاً.

ولهذا لابد من وضع ضوابط لاستخدام القوة في حالة المجتمعات الرشيدة، حتى تثمر ثمرتها، وتؤتي أكلها، وتفعل فعلها، وتحقق مقاصدها وأهدافها.

ومن أهم هذه الضوابط:

أولا: أن يكون استخدام القوة صادرًا من جهته المشروعة:

من الضوابط المهمة التي يجب أن تنضبط بها القوة واستخدامها أن تكون صادرة من جهتها المنوطة بها، لا من أي جهة أخرى؛ إذ صدور القوة من غير جهتها المشروعة يهدد أمن المجتمع ويعرضه للفتن.

وأعني بالجهة المشروعة هنا السلطة التي اختارتها الأمة، أو رضيت بها وبايعتها، ووكّلتْها في حماية المجتمع من الأخطار، وفي حماية حدوده، وتوفير الأمن والأمان لأفراده وجماعاته.

ولا يرضى الإسلام أن تقوم قوى أو جهات غير السلطة الشرعية المختارة بتشكيل عصابات إجرامية لزعزعة الاستقرار وتقويض أمن المجتمع، والقيام بالافتئات على الحاكم المختار الذي يسعى في أمته وفق العقد المبرم بينه وبينها بما يحقق مقاصد الشرع، ويراعي مصالح الخلق.

ويأتي الخلل هنا من أمرين:

الأول:

ألا يقوم الحاكم بواجباته، أو أن يخل بالعقد الذي بينه وبين الأمة، فيظلم ويتجبر ويطغى، ويخالف محكمات الشرع، فيهدر مقاصد الخالق، ويقوض مصالح المخلوقين، ومن هنا تنشأ في المجتمعات الجماعات المسلحة، وجماعات السلاح التي ترى وجوب إزالة هذا الظلم فتستخدم القوة، وتستعمل السلاح، فتحدث الفتن والقتل والجراح.

والثاني:

عدم الفهم الصحيح للإسلام، وعدم تقدير الأمور حق قدرها، واعتناق الفكر المتشدد الذي لا ينقصه الإخلاص بقدر ما ينقصه حسن الفهم وعمق التجربة، وهؤلاء يحتاجون إلى الرحمة والشفقة، والحوار الفاعل والتواصل البناء.

ثانيا: أن يكون استخدام القوة بحق:

استخدام القوة بغير الحق مذموم ومنكور، ذمه القرآن الكريم وأنكره، وجعل على فاعليه السبيل، قال تعالى: "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ". سورة الشورى: ٤٢ .

يقول الإمام الطبري: يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّمَا الطَّرِيقُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى الَّذِينَ يَتَعَدَّوْنَ عَلَى النَّاسِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، بِأَنْ [ص:٥٢٩] يُعَاقِبُوهُمْ بِظُلْمِهِمْ لَا عَلَى مِنِ انْتَصَرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، فَأَخَذَ مِنْهُ حَقَّهُ. وَقَوْلُهُ: {وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الشورى: ٤٢] يَقُولُ: وَيَتَجَاوَزُونَ فِي أَرْضِ اللَّهِ الْحَدَّ الَّذِي أَبَاحَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَى مَا لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ، فَيُفْسِدُونَ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٩١] يَقُولُ: فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، لَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ"(١).



واستخدام القوة من مصدرها المشروع يجب أن يكون بحق، لا ظلم فيه ولا بغي ، وإنما بالحق والقسط والعدل، وضابط هذا الحق الذي يضبطه ويحكمه هو المقصد من قيام الحكام والولاة، قال العلامة عبد الرحمن بن خلدون: "ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم ... والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. فافهم ذلك واعتبره فيما نورده عليك من بعد. والله الحكيم العليم"(٢).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠/ ٥٢٨ - ٥٢٩ . طبعة هجر.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ١/ ٣٦٥. الفصل الخامس والعشرون في معنى الخلافة والإمامة. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. دار يعرب. دمشق. الطبعة الأولى. ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

فهذا المقصد الكبير هو الضامن الحقيقي لكي يكون استخدام القوة بالحق، وكل استخدام للقوة لا يحقق هذا المقصد العظيم فهو استخدام بغير حق يجب أن يمتنع عنه الحاكم، ويجب على الأمة أن تأخذ على يد الحاكم لترده فيه إلى الحق.

ثالثا: ألا يكون استخدام القوة متجاوزا لحده:

لا ينفصل هذا الضابط عن الضابط قبله، فاستخدام القوة بحق والامتناع عن استخدامها بغير الحق، يؤدي بنا إلى عدم التجاوز في استخدام القوة، فهناك استخدام القوة بضوابطه، وهناك التعسف في استعمال الحق في استعمال القوة.

ولهذا ضبطت الشريعة استخدام القوة حتى لا يكون مُفْرطًا، وكي لا يأتي بنتائج عكسية، وربما يستجلب غضب الله تعالى وغضب الناس. ومن هنا كان تطبيق الحاكم للحدود مثلا له ضوابطه المعروفة والمدونة في مطولات كتب الفقه حتى لا يتجاوز في استخدام القوة، ولا يتعسف فيها.

وما أكثر ما أفرط الحكام والمحكومون في استخدام القوة باسم الإسلام، وباسم توفير الأمن، وباسم حفظ المجتمع، وباسم تحقيق مقاصد الشريعة، وهذا أدى ويؤدي دائما إلى زعزعة الأمن، واضطراب نظام الحكم، واستعداء الناس، وإلجاء الأمة إلى العنف واستخدام السلاح، بما يفضي في النهاية إلى عكس المقصود تماما.

ومن هنا نؤكد على أن يكون استخدام الحكام والولاة ومن يقوم مقامهم للقوة في حدوده، ومضبوطا بضوابطه، حتى يؤدي دوره، ويحقق مقاصده.

رابعا: ألا يترتب على استخدامها ضرر أكبر:

ومن الضوابط المهمة هنا - وفي غير هنا - ألا يترتب على استخدام القوة ضرر أكبر، وهي قاعدة كبيرة في الإسلام، حاكمة على استخدام القوة وضابطة له، كما أنها حاكمة في أعظم فريضة في الإسلام وأوسعها في باب السياسة الشرعية، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد اتفق الفقهاء أنه إذا كانت إزالة المنكر ترتِّب عليه منكرا أكبر منه حرم الأمر والنهي، قال العلامة ابن القيم: "فإنكار المنكر أربع درجات؛ الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة"[٣].

ومما ذكره الإمام المحقق ابن قيم الجوزية عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم[٤].

وهذا يدخل أيضا ضمن فقه الموازنات وفقه الأولويات وفقه المقاصد، فهي منظومة مترابطة ومتكاملة يشد بعضها بعضا، ويرتبط بعضها ببعض.

وتَرَتُّبُ المفاسد الكبرى على استخدام القوة أمر يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال، ويدخل ضمن تقدير الحاكم للأمور؛ إذ تصرف الحاكم على الرعية منوط بالمصلحة، كما قرره الفقهاء.



(٣) إعلام الموقعين: ٣/ ١٢. دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ.
(٤) إعلام الموقعين: ٣/ ١٣.

المبحث السادس

مقاصد القوة في السياسة الشرعية

إيجاد القوة بعناصرها وأنواعها، وضبط هذه القوة بضوابطها التي أسلفناها يثمر ثمراته ، ويؤدي نتائجه، ويحقق مقاصده، ومن هذه المقاصد:

أولا: حماية الدين وحفظ نظام الأمة:

حفظ نظام الأمة من مقاصد الشريعة الكبرى التي تسعى لتحقيقها عبر أحكامها المختلفة في أبوابها المتنوعة، يقول العلامة محمد الطاهر ابن عاشور: إذا نحن استقرينا موارد الشريعة استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقراة أن المقصد العام من التشريع فيه، هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان[٥].

ويقول في موضع آخر: إن مقصد الشريعة من نظام الأمة أن تكون قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال[٦].

ولن تتم حماية الدين وحراسته إلا بسياسة قوية تستجمع لديها كل أسباب القوة وأنواعها، كما قال تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) } الأنفال.

فالمسلمون إذن مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، لأن إظهار القوة يلقي الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون؛ وآخرين ممن لا يعرفونهم ، ولم يجهروا لهم بالعداوة ، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ، ولو لم تمتد بالفعل إليهم[٧].

والأمة مطالبة بإعداد القوة الحربية للدفاع عن الدين وعن الوطن ، وعن كل ما يجب الدفاع عنه ، لأن أعداء الإِسلام إذا ما علموا أن أتباعه أقوياء هابوهم ، وخافوا بأسهم ، ولم يجرؤوا على مهاجمتهم... فيعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم ، ويستطيعون أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحدًا إلا الله عز وجل "[٨].

وبهذه القوة تتحقق حماية الدين، ويحفظ نظام الأمة، فتعيش بعيدة عن الاضطرابات والانقسامات والتعصبات، وتعيش آمنة مطمئنة.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية: ٦٠. دار السلام. القاهرة. ٢٠٠٦ م.
(٦) السابق:١٣٤.
(٧) في ظلال القرآن: ٢/ ١٥٤٤. دار الشروق. القاهرة.
(٨) التفسير الوسيط : ٦/ ١٤١. محمد سيد طنطاوي. دار نهضة مصر.





ثانيا: تحقيق الريادة والقيادة للأمة:

من المقاصد المهمة التي تحققها القوة بأنواعها وضوابطها أن تتحقق الريادة للأمة، فيمكّن الله لها دينها، ويبدلها من بعد الخوف أمنًا.



يقول العلامة الشيخ السيد سابق: وقد كانت هذه القوى - يعني بأنواعها المختلفة التي أوردناها عنه سلفا - هي العامل الأساسي في نجاح الأمة في أول دور من أدوار حياتها التاريخية؛ فما كادت تجتمع لها هذه العناصر حتى آل إليها ميراث الأرض، ووضع في يدها قيادة الأمم، ووكل إليها إخراج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، وباجتماع هذه العناصر أصبحت الأمة رفيعة البنيان، عظيمة السلطان، ثابتة الأركان، باذخة الذرى، وتم لها وعد الله الذي لا يتخلف: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ". سورة النور: ٥٥[٩].

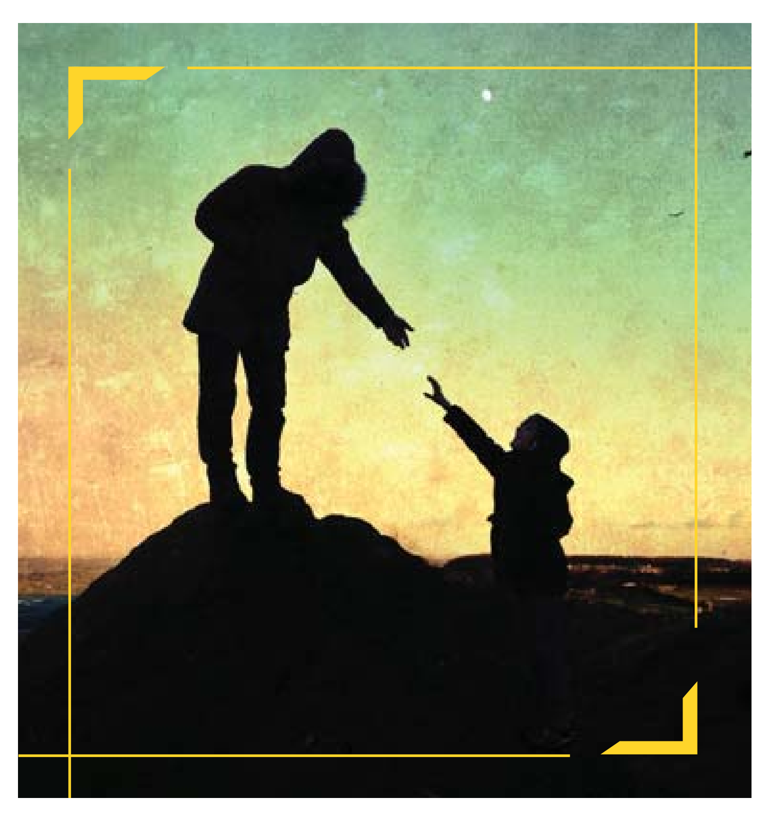
وهل تتحقق الريادة فضلا عن القيادة لأي أمة من الأمم إلا إذا امتلكت مقومات القوة جميعا؟ لَكَمْ ذاقت أمتنا مراراتٍ وإهاناتٍ وذلةً جراء عيشها تابعة منكسرة؛ حيث إنها لا تملك أيا من مقومات القوة التي تضمن لها الاستقلال والندية والكرامة والعزة، وإذا امتلكتها فهي لا تملك القرار والإرادة التي تصل بها إلى هذه المكانة؛ ولهذا كانت القوة من شعار الإسلام الذي يرفعه ويؤمن به ويدعو إليه.

(٩) عناصر القوة في الإسلام: ٤.

وأسباب القوة ليست في فوضى الأخلاق، ولا في التحلل من الآداب، ولا في التشكيك في المثل والقيم وثوابت الأمة، ولا في تقليد الشرق والغرب، ولا في استيراد المبادئ من هنا وهناك ، وإنما هي في الأصول الخالدة، والمبادئ الكريمة السائدة، التي جاء بها الإسلام[١٠].

ومن هنا وجب على أمتنا اليوم أن تستعيد عافيتها، وتسعى لامتلاك كل أسباب القوة الممكنة، فالعالم المعاصر أضحى لا يعرف إلا منطق القوة لا قوة المنطق، وبات لا يعترف بغير الأقوياء.

ثالثا: تحقيق الرحمة بالمؤمنين والغلظة على المعتدين:



ومن مقاصد وجود القوة بعناصرها وأنواعها وضوابطها أن يتحقق للأمة الرحمةُ بالمؤمنين؛ فترحمهم وتكفلهم وتنصرهم في أي مكان كانوا، ولا تُسْلمهم لعدو ولا معتدٍ، والغلظةُ على المعتدين الظالمين الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق؛ فتردعهم، وتلجمهم، وتلزمهم غرزهم، بما توفر لها من مقومات شاملة للقوة، والله تعالى يقول: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ". سورة الفتح: ٢٩ .

قال الألوسي: "إن المؤمنين فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين، ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين، وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس، فمع كونهم أشداء على الأعداء، فهم رحماء على الإخوان، ونحوه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ.." المائدة: ٥٤. ومعنى كونهم أعزة على الكافرين، أنهم أشداء متغلبون عليهم[11].

(١٠) السابق: ٦.
(١١) روح المعاني: ٢٦٧/١٣، و٣٣١/٣. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

وقال ابن كثير : "هذه صفات المؤمنين الكمَّل؛ أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه" [١٢] . قال عطاء رضي الله عنه: "للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته [١٣]".

*****



خاتمة توصيات

هكذا تتضح لنا ضرورة توفير القوة للأمة المسلمة، بأنواعها وعناصرها ومجالاتها المختلفة، ويجب أن تضبط الأمةُ ممثلةً في حكامها وولاتها هذه القوة بضوابطها الشرعية التي وضحناها في هذا البحث، حتى تحقق مقاصدها، فتحمي الدين، وتحفظ الأمة، وتحقق لها القيادة والريادة، وتحقق الرحمة بالمؤمنين وتنصرتهم، والتصدي للمعتدين وتردعهم.

وإذا كان هناك من توصيات فإن البحث يوصي بأن تحرص الأمة المسلمة عبر حكامها وقادة الرأي فيها على امتلاك كل أنواع القوة، ومن ذلك:

١) القوة في الإيمان الذي يحرر الضمير والوجدان من كل عبودية لغير الله .

٢) القوة في الاستمساك بالحق ، مهما كانت قوة ضغوط الباطل .

٣) القوة في العلم الصانع للشخصية المثلى للإنسان، المبني على أسس التقوى، المثمر بالعمل ، وبناء الإعلام النافذ إلى أعماق النفس .

٤) القوة في بناء الاقتصاد لاستثمار الأرض وثرواتها، وحسن التصرف فيها ؛ لبناء الحاضر، وتأمين المستقبل.

٥) القوة في إقامة المجتمع على أساس العدل الشامل، والتشريع السمح، والعمل الجاد.

٦) القوة في الكشف عن الضعف النفسي في المجتمع، والتطهر منه؛ حتى تأخذ النفس طريقها إلى السمو الروحي، والعزة والكرامة.

٧) القوة في تربية الأمة على حب الجهاد في سبيل الله ؛ حتى تتمكن من الذود عن حياض الدين والعرض والأرض والثروات .

---

(١٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٣٦ . دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
(١٣) مدارج السالكين لابن القيم: ٢/ ٣١١ . دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.



(٨) القوة في إعداد الأمة ما تستطيع من قوة السلاح بمختلف أشكاله وصنوفه؛ حتى تستطيع مواجهة أعدائها بمثل ما يواجهونها به .

(٩) القوة في الاتحاد على أساس إيماني، وعدم التمزق مهما كانت التأويلات الداعية إلى التفرق ذات نية صادقة، والحض على طاعة أولياء الأمور في المعروف، والنصح والدعاء لهم، وتماسك المجتمع كله في السلم والأزمات.

(١٠) القوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق الضوابط الشرعية، المبنية على التغيير المتدرج.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الأكذوبة الكبرى (2)

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

الديمقراطية .. ما هي ؟ وما حقيقتها ؟ خيرٌ هي أم شرّ ؟ نفعٌ هي أم ضُرّ ؟ نظامٌ راشد ينبغي أن تفيء البشرية كلها إلى ظلاله الندية الوارفة ؟ أم نظامٌ فاسد يتوجب على الخليقة جمعاء أن تفر من ناره المحرقة ؟ أسئلة دائرة وحائرة، والإجابات عليها بين أمانيّ طائشة وأحكام جائرة.

وقد تقدم في المقال السابق أنَّ الديمقراطية اتفقت مع الإسلام في أصل من الأصول وافترقت في أصل آخر، غير أنَّ الأصل الذي افترقت فيه عن الإسلام وهو (السيادة) يجعلها والإسلام على طرفي نقيض، فجعل السيادة لشريعة الله إسلام، وجعلها لغير الله ولو كان (الشعب) جاهلية، ومع ذلك فإنَّه ينبغي أن نفرق في الحكم بين حال الاختيار وحال الاضطرار، ففي الأول لا يجوز العمل بالديمقراطية وترك النظام الإسلاميّ، أمَّا في الثاني فيجوز العمل بالديمقراطية من باب اختيار أهون الشرين وارتكاب أخف الضررين؛ فلا ريب أنَّها أفضل من النظم الشمولية؛ لأن النظم الشمولية تجمع إلى مفسدة جعل السيادة لغير شرع الله مفاسد أخرى ليست في الديمقراطية، ولأنَّه بالإمكان عند توافر شروط معينة الوصول إلى تحكيم كثير من أحكام الشريعة عن طريق تغليب أصوات المطالبين بالشريعة على أصوات غيرهم.

غير أنّ هذا الطريق لتطبيق الشريعة افتراضيّ بحت، ومن العسير تطبيقه إن لم يكن من المستحيل، هذا ما أعتقده كأنني أراه رأي العين، فإن كنت مُكَذِّبي فاسأل التاريخ، فإن لم يسعفك - لكونك تتعجل النتائج - فاسأل الواقع؛ فهو أصدق شاهد، فإذا وجدت التحول الديمقراطي الذي جاء بكرزاي والمالكيّ وأمثالهما قد غمر أفغانستان والعراق وغيرهما بنعيم الديمقراطية، ثم تبين لك أنَّ نَبْتَة الديمقراطية في مصر بعد ثورتها قد تَعَهَّدها الاتحاد الأوربي بالرعاية والعناية؛ فأنت على حقٍّ وتستحقّ أن نوافقك في تفاؤلك وحسن ظنك، ثم تحامل على نفسك الطموحة التواقة للخير العاجل، واسأل كل الأنظمة المستبدة التي حكمتنا عقوداً بالوكالة عن الاستعمار مُتَغَنِّيَةً كلها بمبادئ الديمقراطية، فإن عدت بعد طول البحث بخفي حنين فاعلم أنَّ للإسلام طريقه، فنقب عنه واعرفه واعتصم به، ولا تغرنك الزخارف.

ولا يغرنك أنَّ الديمقراطية اتفقت مع الإسلام في الأصل الثاني، وهو أن الأمة مصدر الشرعية السياسية وصاحبة الأمر؛ فتظن أنَّ هذا الاتفاق النظريّ ييسر سبيل حصولك على (نسخة أصلية) من الديمقراطية تستطيع من خلالها أن تبلغ ما تريد من تحكيم الشرع؛ لأنّ الملاحظ المشاهد باستقراء الواقع والتاريخ المعاصر أنَّ المالك الحصريِّ للديمقراطية يُصِرُّ على أن يهبك منها ما يخالف شريعتك، ويحرمك مما يوافقها أو يقترب منها، لذلك فإنَّ جميع دساتيرنا تنص على أنَّ السيادة للشعب، وفي جميع بلادنا يطبق الدستور وكذلك جميع ما ينبني عليه من قوانين صدرت عن (صاحب السيادة!) برعاية السيد الكبير والمالك الوحيد للديمقراطية، أمَّا عندما تريد أن تختار أقدر الناس على أخذ بلادك إلى القمة الصاعدة، أعطاك - بنسبة لا تقل عن تسعين بالمائة - أقدر الناس على أخذ بلادك إلى الهاوية الهابطة.

(١) تأملات في ثورات العصر - هارولد لاسكي - ترجمة عبد الكريم أحمد - دار القلم القاهرة مصر - بدون تاريخ طبع - صـ٢٨٤

قد يقال إنَّ الديمقراطية لأهلها نعيم مقيم، وفي البلاد التي تستظل بظلها جنَّة عرضها كعرض القارات الخمس، وهذا القول إن صحَّ فإنَّ سببه أنّ الجهة المالكة للديمقراطية تستنزف ثروات القارات الخمس بما حوت؛ لترفيه شعوبها التي تضمن البقاء لها حاكمة جاثمة؛ لذلك قيل: "إنَّ ما صار واضحاً فوق كل شيء آخر في السنوات ما بين الحربين هو اعتماد الدول الديموقراطية على اقتصاديات التوسع؛ وبمجرد أن تصير هذه غير متيسرة فإنَّ التناقض بين دلالات الرأسمالية ودلالات الديمقراطية يصبح مما لا يمكن التغلب عليه"[١].

وحتى هذه الرفاهية يعتريها في بلادها مثالب، أولها أنَّها كانت مرحلة مؤقتة فرضتها تغيرات كبيرة في أشكال النشاط البشريّ، وأنَّ الرأسمالية (الجهة المالكة للديمقراطية والحاكم الفعلي للعالم) تخطط لإنهاء هذه الحالة، وقد تصايح الكثيرون من مفكريهم وتنادوا محذرين من هذا المخطط، فهاهم يجتهدون في رصد الظاهرة وتحليل الوقائع، "ويحلل العالم المختص بشئون المستقبل (جون نايزبت) واقع المجتمعات الصناعية، ويتوصل إلى نتيجة مفادها أنَّ عصر المجتمعات الصناعية وما أفرزه هذا العصر من مستوى معيشيّ مرتفع لجمهور المجتمع ليس سوى حدث عابر في التاريخ الاقتصادي"[٢]، وقد توصلوا من خلال رصد الواقع وتحليل الأحداث إلى أنَّ معتقد الاقتصاديين المؤثرين في القرار "أنّ النموذج الأوربيّ لدولة الرفاهية قد أكل عليه الدهر وشرب، وأنّه قد صار مشروعاً باهظ التكاليف، مقارنة بما هو سائد في بلدان العالم الأخرى"[٣].

---

(١) تأملات في ثورات العصر - هارولد لاسكي - ترجمة عبد الكريم أحمد - دار القلم القاهرة مصر - بدون تاريخ طبع - ص٢٨٤

(٢) فخ العولمة .. الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية - تأليف: (هانس بيتر مارتين ، هارالد شومان) - ترجمة: د. عدنان عباس علي - كتاب "عالم المعرفة" عدد ٢٣٨ سنة ١٩٩٠م ص ٢٥

(٣) فخ العولمة .. ص ٢٧



وفي سبيل تحرير السوق لصالح الطغمة الرأسمالية التي تحكم العالم يرتبون لتقييد دور الدولة (الديمقراطية!) بل والمؤسسات الدولية الكبرى، وقد نجحوا في هذا إلى حد كبير، "وهكذا صار عدم تدخل الدولة إلى جانب تحرير التجارة وحرية تنقل رؤوس الأموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية أسلحة استراتيجية في ترسانة الحكومات المؤمنة بأداء السوق، وفي ترسانة المؤسسات والمنظمات الدولية المسيَّرة من قبل هذه الحكومات، والمتمثلة في البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية؛ فقد غدت هذه المؤسسات الوسائل التي تحارب بها هذه الحكومات في معركتها الدائرة رحاها حتى الآن من أجل تحرير رأس المال"[٤].

ثاني هذه المثالب أنَّها رفاهية على حساب انسحاق الشعوب الأخرى بسبب الإمبريالية التي يمارس من خلالها النظام الدوليّ قهر شعوب "العالم الثالث"، ومنها أنَّ الصورة ليست بهذه البشاشة التي تبدو لنا في الظاهر العام المترع زيفاً ورياءً، ومن أحب أن يتابع إحصائيات المقهورين في أمريكا نفسها فعليه الاطلاع على تقارير منظمات عديدة، والأهم من هذا وذاك أن هذه الرفاهية متضمنة إلهاء الشعوب عن الغاية التي خلقت من أجلها، وهي عبادة الله، فبرغم مناخ الحريات الذي يتنفسه الناس في الغرب إلا أنها كحرية القرود في السرك الكبير، وهذا أمر شرحه يطول، ولعلنا نفرد له مقالاً منضماً لهذه السلسلة أو منفصلاً عنها..

(يتبع)

---

(٤) فخ العولمة .. ص٣٠



عن امرأة هزمت التعب

لمى خاطر

هي ليست شخصية ذائعة الصيت في أوساط الإعلام أو السياسة أو الفن، ولم تصنف يوماً ضمن لائحة النساء الأكثر تأثيراً في العالم، ولم تتناول الصحف الغربية اسمها كشخصية نسائية لامعة، ولم تكن أضواء الشهرة تلاحقها حيثما حلت، لكن مبعث نورها وعطر أثرها كانا مختلفين، وموردهما متصل بمعانٍ سماوية فذة، وسرّ حضورها كان مستمداً من وحي ما كابدت طيلة حياتها، ومع أبنائها التسعة، وبناتها الأربع، الذين كان لكل واحد منهم حكاية مع البطولة، جهاداً أو أسراً أو شهادة، ثم ما لبثت أن امتدت إلى الأحفاد.

إنها الحاجة صبحية القواسمي (أم حسن)، من مدينة الخليل في فلسطين، التي توفيت قبل بضعة أيام، بعد اشتداد المرض عليها، بعد أن أمهلها حتى تمكنت من رؤية أحد أبنائها إذ تحرر من سجون الاحتلال، ثم فاضت روحها إلى بارئها في اليوم التالي لخروجه من السجن.

حكاية عائلة أم حسن معروفة لدى أهل الجهاد وجمهور المقاومة في فلسطين، فهي تنتمي لعائلة عريقة في التضحية، أما أسرتها المكونة منها وزوجها وأبناؤها وبناتها، فلها نصيب وافر من العطاء والجهاد ومكابدة المحن المختلفة على مدى أعوام طويلة، فقد استشهد لها اثنان من الأبناء، وهدم بيتها وبعض بيوت أبنائها عدة مرات، ولها عدة أبناء في سجون الاحتلال، بعضهم يقضي أحكاماً عالية، ومرّ عليها وقت كان فيه أبناؤها التسعة داخل السجن، ولم يحدث أن اجتمعت بهم كلهم في وقت واحد، فيما هم موزعون بين الأسر والشهادة والإبعاد.

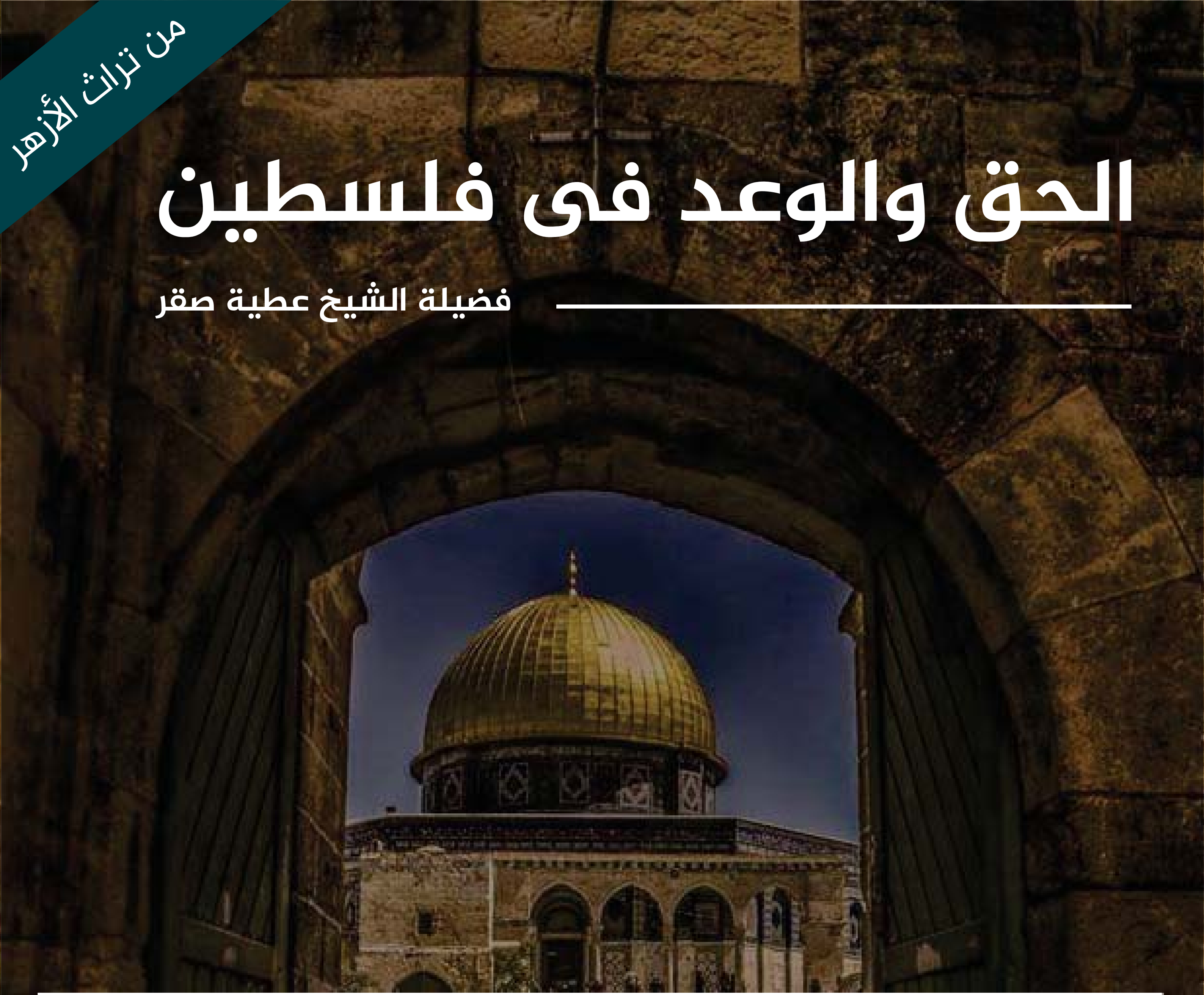
لكن أم حسن لم تقابل أي محنة بالشكوى والتذمر ونفاد الصبر، وكنت كلما رأيتها أجدها مستبشرة وشاكرة الله وراضية بقدره، فقد اعتادت العطاء بقدر ما عظُمت في نفسها معاني الصبر والجلد والرضا، وهي على هذا الحال منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وفي كل مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني كان بعض بنيها في طليعة من يتقدم الدرب غير هياب من فداحة ضريبته، حتى بعد كل سنوات السجن التي أكلت من أعمارهم واستقرارهم.

ليست أم حسن مثالاً وحيداً للعطاء، أو رمزاً منفرداً في رساليته العالية، فمثلها نماذج نسائية كثيرة في فلسطين، وبعضها لا يعلم إلا الله بصنيعها وحسن صبرها وإعدادها أبناءها ليكونوا مجاهدين، لكن كل واحدة منهن تحتاج احتفاءً خاصاً حين يدهمها خطب، أو حين تودّع الدنيا تاركة أثرها ودروس حياتها وبذلها وصمودها، فهؤلاء مصانع الرجال الأولى، وفيهن تتشكل معالم نفسيات الرجال، فإما أن يشبوا على الرجولة، أو يظلوا عبيداً راتعين في لجة المذلة واستطابة الهوان.

وحين نفتش عن النساء اللاتي يقفن في محيط الرجال العظماء ستدهشنا نوعياتهن، وخصائص نفوسهن، ومدى إدراكهن لمتطلبات الغايات الرسالية، لذلك فإن أقل الواجب أن نسرج من حولهن القناديل، ليهتدي بنورهن الفياض رجال ونساء لم يفقهوا من معاني الحياة غير الدوران حول الذات وتحري السلامة الشخصية واستثقال التضحية والتهيب من الوقوف في بؤرة الفعل ومركز الإقدام.

رحلت أم حسن، وكان رحيلها المحفوف بالرضا والصبر، والوصية بأن يلف نعشها في الراية ذاتها التي لف بها نعش ابنها الشهيد مراد، كان هذا الرحيل مدرسة، كما كانت حياتها في ظل راية لم تنكّس مدرسة أخرى، غير أن الرحيل يقول دائماً أشياء إضافية، غير ذلك الحزن الذي يظلل أهداب من تلمسوا بركة حضورها في حياتهم، منها أن التعب كله إلى زوال، والمشقة في الدنيا إلى انتهاء، وأن ما يبقى طيب الأثر والأجر الأخروي وعطر السيرة الناصعة التي كان عنوانها هزيمة التعب ومجالدة الألم والاستظلال الدائم بلواء التضحية.

* هذا المقال نُشر في موقع https://meemmagazine.net ، بتاريخ يوليو ٢٠١٨/١٠



الحق والوعد فى فلسطين

فضيلة الشيخ عطية صقر

مايو ١٩٩٧

سئل : هل لليهود حق تاريخى فى أرض فلسطين ، وما حقيقة الوعد الإلهى الموجود حاليا فى التوراة بتحديد أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات ، وهل يعتبر الاحتلال اليهودى لأرضى فلسطين من علامات الساعة؟

أجاب : من بلاد (أور) على مصب نهر الفرات وفى غضون القرن العشرين قبل الميلاد خرجت قبيلة سامية صغيرة من سلالة إبراهيم عليه السلام متجهة نحو الغرب تلتمس مراعى جديدة عبروا لها نهر الأردن فسموا بالعبرانيين وهم الذين نسميهم الآن اليهود، وأخذت تهيم على وجهها فى كل فج وانتهى بها المطاف إلى مصر وعاشت فى حماها أكثر من خمسة قرون ، فلما اجتاح الهكسوس مصر استسلم لهم اليهود فتركوهم ينعمون بحياتهم ، ولما طرد الهكسوس سيم اليهود ألوان العذاب على يد الفراعنة حتى أنقذهم الله على يد موسى، وعبر بهم البحر إلى التيه الذى استمروا فيه أربعين سنة ثم نزلوا فلسطين، ومعناها "أرض بلستو " وهى قبيلة صغيرة من أهل كريت استقرت على الشاطئ وكان يسكنها إذا ذاك جنس سامى هم الكنعانيون وأنشأوا مدنا منها(أورشليم) أى مدينة السلام.

ثم تقلبت الأحداث ببنى إسرائيل وكانت لهم أحداث مع الدول المجاورة. والتاريخ يحكى-كما قص القرآن فى أوائل سورة الإسراء - أن الله أرسل عليهم حاكم بابل (بختنصَّر) فأذاقهم العذاب وأسر كثيرا منه ، ثم عادوا بعد ذلك إلى بلادهم ، ثم سلط الله عليهم ولاة الرومان فطردوهم وفر جماعة منهم إلى جزيرة العرب وهم الذين ناوءوا دعوة الإسلام ثم طهرت الجزيرة منهم وشردوا فى أكثر من مكان ، وطردوا أكثر من مرة فى البلاد التى ينزلونها وذلك مسطر فى كتب التاريخ.

ولئن أقام بعضهم فى فلسطين مدة من الزمان فلن يمكن الله لهم منها ما داموا مفسدين لأنه القائل : {وإن عدتم عدنا}.

وكلما زاد إفسادهم وظهر للعالم شرهم سيتخلون عنهم ، وسيسلط الله عليهم من يطردهم مرة أخرى، ونرجو أن يكون ذلك على يد المسلمين إذا ما رجعوا إلى ربهم وشكروا نعمته واستغلوا خيراتهم لمصلحة الدين والوطن الإسلامى ، فى وحدة جامعة ومحبة صادقة ، وبخاصة بعد أن عرفوا نتيجة عدم المبالاة بالغير ونتيجة التفرق والتمزق.

لكن متى يكون ذلك ؟ نرجو أن يكون قريبا إن شاء الله. قال تعالى : {وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب } الأعراف : ١٦٧ . وقوله تعالى : {ادخلوا الأرض المقدَّسة التى كتب الله لكم } المائدة : ٢١. معنى الكتاب الفرض والالتزام ، وذلك لتطهيرها من المفسدين وذلك لا يلزم منه أن تكون حقا لهم مكتسبا أبدا الآبدين ، ، وقيل معنى "كتب الله لكم " وعدكم إياها ، والوعد لا يلزم منه أن يكون مؤبدا ، وقيل إن وعد الله إياهم بها مرتبط بطاعتهم وتنفيذ أمر الله لهم بجهاد من فيها، وما داموا لم يطيعوا فلا حق لهم فى الوعد، وقيل غير ذلك. والأرض المقدسة مختلف فى تحديدها فقيل : دمشق وفلسطين وأريحا وإيليا والأردن وغيرها. وليس هناك نص قاطع يدل على أن احتلال اليهود لفلسطين من علامات الساعة وإن كان هناك حديث يدل على أن الساعة لا تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فينادى : يا عبد الله أو يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله رواه مسلم (شرح النووى ج ١٨ ص ٤٥).

مجلة منبر الإسلام عدد صفر ١٤١٨

دروس من بلاد الأفغان (1)

حامد
عبدالعظيم



"حان الوقت للتحدث مع طالبان".

"ليس لدينا خيار".

"لقد فشلت الحرب التي دامت 17 عامًا في أفغانستان على كل المستويات".

هكذا يقول المحلل والضابط الأمريكي المخضرم دانيال ديفيس والذي أضاف في مقال له: إن تقارير قد ظهرت في الآونة الأخيرة بأن البيت الأبيض يُصدر تعليماته إلى كبار الدبلوماسيين بالبدء في البحث عن محادثات مباشرة مع طالبان، إنه إجراء لم يكن من الممكن تصوره في بداية حرب أفغانستان، لكن هذا اليوم قد طال انتظاره. على الرغم من الانتقادات التي أثارتها، فإن مثل هذه المحادثات تقدم أفضل فرصة لإنهاء أطول حرب في الولايات المتحدة وأكثرها عقمًا".

وقال ديفيس الذي قاتل في أفغانستان بوضوح: "إنه في حين أن هناك اتفاقاً واسعاً على أن القادة الأمريكيين كان لديهم ما يبرر إطلاق العمليات العسكرية في أفغانستان في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر، فإنه من الواضح بشكل مؤلم بعد ١٧ عاما أن لا أحد لديه أي فكرة عن كيفية إنهاء القتال بشروط عسكرية" [١].

وتوصل إلى الحل في نهاية مقاله بقوله إن "الحل الحقيقي لذلك هو سحب قواتنا بأسرع ما يمكن تحقيقه بأمان بدلاً من إلقاء المزيد منهم في صراع غير مثمر" .

الحقيقة أن ذلك ليس رأياً فردياً من محلل عسكري وضابط سابق بالجيش الأمريكي، بل هي القناعة التي وصلت إليها الإدارة الأمريكية والرأي العام الأمريكي، فطالبان تقترب من السيطرة على نصف أفغانستان، وازداد نشاطها العسكري للغاية ضد الاحتلال الأمريكي وصنائعه منذ أن أطلقت "عملية الخندق" في شهر أبريل من العام الجاري (٢٠١٨). وحربها في أفغانستان هي أطول حرب خاضتها أمريكا، أطول من الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والحرب الكورية مجتمعة [٢].

إنها ليست أطول حرب في أميركا فحسب، بل إنها تأتي أيضًا بتكلفة كبيرة في الدماء والاقتصاد. فقد قُتل ما يقرب من ٢٢٠٠ جندي أمريكي وأصيب أكثر من ذلك من الجرحى. وتقدر تكلفة الحرب بأكثر من تريليون دولار. وهذا وفق الإحصائيات الأمريكية [٣].

بينما تقول تقديرات أخرى إن هذه الحرب قد تجاوزت تريليون دولار، وبلغ عدد قتلى القوات الأمريكية ٢٣٥٠ جندياً، إلى جانب ٢٠٠٩٢ من المصابين وأفراد أسرهم. ويعاني ٣٢٠ لألف جندي سابق خدموا في العراق وأفغانستان من آثار الإصابة في الرأس، ومن أبرز تداعياتها الاضطرابات الذهنية والشرود. ومن بين هؤلاء هناك ٨٢٣٧ ممن يعانون من إصابات شديدة في الدماغ إضافة إلى 5461 جندياً فقدوا جميع أو أحد الأطراف. وتشير الإحصاءات إلى أنه خلال عام ٢٠١٦ أقدم ٢٠ جندياً متقاعداً على الانتحار يومياً حسب إحصاءات المركز الوطني للجنود المتقاعدين. وتشير تقديرات الباحثة في جامعة هارفارد ليندا بلايم إلى أن نفقات الخدمات الطبية لقدماء الحرب ومعاقي الحرب خلال السنوات الأربعين المقبلة ستتجاوز تريليون دولار؛ إذ تدل التجربة أن هذه الكلفة تبلغ حدها الأقصى خلال ٣٠ الى ٤٠ سنة من انتهاء الحرب [٤].

(1) DANIEL L. DAVIS, Time to Talk to the Taliban, July 24, 2018.



إن هذه القناعة التي وصلت إليها الإدارة الأمريكية والرأي العام الأمريكي تمثلت من عدة أيام في صورة لقاء في العاصمة القَطرية (الدوحة)، بين دبلوماسيين رسميين أمريكيين ومسؤولين من "الإمارة الإسلامية" أو من يصر الإعلام على وصفهم بأنهم مجرد "حركة" تُدعى طالبان. على الرغم من سيطرة "الإمارة الإسلامية" على ٥٩ مقاطعة سيطرة كاملة وبإدارة كاملة منها في كل مرافق الحياة.

وكان قد طلب البيت الأبيض رسمياً من الدبلوماسيين الأمريكيين -كما نشرت صحيفة نيويورك تايمز- فتح باب للتفاوض المباشر مع حركة طالبان. وعلقت الصحيفة بأن هذا التحول الكبير في السياسة الأمريكية قد حدث على أمل إنهاء حرب السبعة عشر عاماً[(5)].

وكانت الحكومة الأفغانية قد عرضت على حركة طالبان الجلوس على مائدة التفاوض، إلا أن طالبان رفضت وقالت للحكومة إننا نتفاوض فقط مع من تتبعون له، وتعني بذلك الولايات المتحدة.

لقد كان التحول في السياسة الأمريكية تجاه طالبان مؤخراً بعد أن أدرك المسؤولون الأمريكان والأفغان أن حتى استراتيجية ترامب الجديدة لا تحدث فرقا جوهريا وأن طالبان تكسب على الأرض.

---

(٢) تسيطر الحكومة الأفغانية العميلة للولايات المتحدة على ٢٢٩ من مناطق أفغانستان البالغ عددها ٤٠٧، أما الطالبان فتسيطر على ٥٩. وباقي المقاطعات الـ١١٩ هي سجال بين طالبان والحكومة.

(3) IAN PANNELL, Taliban insurgents pledge to continue fight in Afghanistan, Jul 14, 2018.

(٤) بي بي سي، الكلفة الفلكية للحرب الأمريكية في أفغانستان، ٢٢ – ٠٨ – ٢٠١٧م.

(5) Mujib Mashal and Eric Schmitt, White House Orders Direct Taliban Talks to Jump-Start Afghan Negotiations, July 15, 2018.

فبعد فترة ليست طويلة من توليه منصبه، وافق ترامب على مضض على توفير المزيد من الموارد لقادته الميدانيين الذين يقاتلون حركة طالبان، مضيفا بضعة آلاف من القوات ليصبح مجموع القوات الأمريكية نحو ١٥٠٠٠. ولكن بعد مرور عام، ما زالت طالبان تهاجم القوات الأمنية وتسبب خسائر فادحة في صفوفها وتسيطر على مدن جديدة كل يوم.

وقد نجحت طالبان في فتح باب من التفاهم مع الحكومة الباكستانية مما أدى إلى زيادة الضغط الأمريكي على باكستان لوقف توفير الملاذ لقيادات طالبان.

وخلال الأسابيع القليلة الماضية، قام كبار المسؤولين الأميركيين بزيارة إلى أفغانستان وباكستان لوضع الأساس لمحادثات مباشرة بين الولايات المتحدة وطالبان. وزار وزير الخارجية مايك بومبيو لفترة وجيزة العاصمة الأفغانية، كابول، الأسبوع الأول من الشهر الجاري يوليو ٢٠١٨ ، وأمضت أليس جي. ويلز ، كبيرة الدبلوماسيين في المنطقة، عدة أيام في إجراء محادثات مع اللاعبين الرئيسيين في أفغانستان وباكستان. وذلك قبل أن تلتقي في الدوحة مع مسؤولين في طالبان يوم ٢٦-٧-٢٠١٨.

وقال وزير الخارجية بومبيو في تصريح خطير له: "إنه لن يكون هناك شرط مسبق للمحادثات، وأن كل شيء بما في ذلك وجود القوات الأمريكية وقوات الناتو في أفغانستان، مطروح للمناقشة" [٦].

تقول صحيفة نيويورك تايمز: "وقد نما توافق شبه الإجماع بين المسؤولين الأمريكيين والأفغان المشاركين في الجهود السابقة والحالية لإطلاق عملية سلام ، بأن السبيل الوحيد للخروج من الحرب هو أن تقوم الولايات المتحدة بدور أكثر مباشرة في المفاوضات. يعتمد هذا الإدراك على عدة حقائق: أن حركة طالبان هي تمرد عنيد ، وأنهم لن يتراجعوا عن مطلبهم بالتحدث مباشرة مع الأمريكيين... المسؤولون الأمريكان يتحركون بشعور من الإلحاح لأن ترامب أعرب عن إحباطه من الحرب ويريد أن يرى نهايتها... إن سبب فتح المحادثات الأخيرة وفقاً للمسؤولين المشاركين في محاولات المفاوضات السابقة، هو أن جيش الولايات المتحدة يبدو أنه سيكون على متن الطائرة قريباً"...

في عام ٢٠١١ ، عندما تحولت إدارة أوباما لأول مرة إلى سياسة إنهاء الحرب من خلال المفاوضات، ظل القادة العسكريون يعتقدون أن بإمكانهم هزيمة طالبان. والآن يحددون هدفهم بشكل أكثر تواضعاً: إيقاف حركة طالبان عن النصر إلى أن يتوصلوا إلى تسوية سياسية.

(٦) المصدر السابق



وقال سيث جونز، الذي يرأس مشروع التهديدات العابرة للحدود الوطنية في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، إن هناك أدلة قليلة على أن كبار قادة طالبان مهتمون بشكل جدي بشروط التسوية المقبولة للمسؤولين الأفغان والأميركيين، وقال: "معظم قادة طالبان يعتقدون أنهم يكسبون الحرب في أفغانستان وأن الوقت يقف إلى جانبهم"[٧] .

وتصر طالبان على انسحاب جميع القوات الأمريكية من البلاد كجزء من أي عملية مصالحة.

في ١٦ يوليو ٢٠١٨ ، أعلن مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى أفغانستان، زامير كابولوف، أن الحكومة الروسية ستدعو ممثلي طالبان إلى اجتماع في موسكو حول أفغانستان قبل نهاية الصيف. وبرر كابولوف قرار موسكو إجراء محادثات مع حركة طالبان بقوله إن طالبان تسيطر على "أكثر من نصف أراضي أفغانستان" ، وبالتالي، يجب أن تدرج في التسوية السلمية الأفغانية النهائية.

وتتهم الولايات المتحدة روسيا بتسليح طالبان وكذلك يتهمها المسؤولين الأفغان. ففي ٢٠ يونيو، أدانت مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية أليس ويلز استراتيجية روسيا بتسليح حركة طالبان ضد داعش، وحثت روسيا على دعم محادثات السلام التي عززت موقف الحكومة الشرعية في أفغانستان. وردت ماريا زخاروفوفا المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية بشكواها بشدة من ادعاءات ويلز. وعلى الرغم من إنكار زاخاروفا، صرح قائد الجيش الأمريكي في أفغانستان، الجنرال سكوت ميلر، على أكبر شبكة إعلامية في أفغانستان، وكالة خاما للأنباء، بأن روسيا تدعم مقاتلي طالبان، إلى جانب باكستان وإيران[٨] .

وقد نشر الرئيس الأفغاني أشرف غاني مقالاً يستجدي تعاطف "الإمارة الإسلامية" فيه، وذلك في صحيفة نيويورك تايمز بعنوان (سأتفاوض مع طالبان في أي مكان)، وقال فيه: "سأجلس وأتفاوض مع زعيم طالبان، مولوي هبة الله أخوندزاده، في أي مكان يريد" .

ولكن السؤال الجدير بالاهتمام: لماذا صمدت طالبان وباتت على وشك هزيمة الاحتلال الأمريكي؟

- وضوح الهدف وثباته (إخراج المحتل وإقامة دولة إسلامية).
- كسب الشعب (عدم تكفيره أو تبديعه أو احتقاره والحرص على إرضائه وحُسن إدارة المناطق المسيطرة عليها).
- تجنب الخلاف قدر الإمكان.
- وضوح العدو (الأمريكان وعملائهم من الجيش والشرطة الأفغانية).
- عدم التفريط في امتلاك القوة والسلاح.
- رفض جميع المصالحات إلا بشروط فرضوها على أرض الواقع فرضاً.
- إنشاؤها مكتباً سياسياً يجيد التفاوض ويعرف مساحات المناورة والثوابت الحركية، وعدم الاقتصار على العمل المسلح فقط.
- التوازن بين العمل الدعوي والسياسي والجهادي.
- عمل إعلامي قوي ومميز (رغم عدم امتلاك القنوات الفضائية والصحف المشهورة، عن طريق الإنترنت وشبكة مراسلين واسعة، ومجلة إلكترونية، وغير ذلك من الوسائل الضعيفة لكنهم استخدموها استخداماً فعّالاً).

---

(٧) المصدر السابق

(8) Samuel Ramani, Why Has Russia Invited the Taliban to Moscow? July 21, 2018.

(9) Ashraf Ghani, I Will Negotiate With the Taliban Anywhere, June 27, 2018



- نسجت شبكة علاقات ندية قائمة على المصالح السياسية لها وللغير وفق فهم عميق لخريطة القوى، كما فعلت مع أطراف إقليمية (باكستان وإيران وحتى روسيا).

- إجادة التعامل مع المشكلات والأزمات الداخلية في صمت وخكمة (موت أميرها الملا عمر وعدم بث ذلك إلا بعد ٣ سنوات، مثالاً).

- عمل مؤسسي لا يتوقف على شخص ما (مات الملا عمر، ثم الملا أختر منصور بعد عدة أشهر ولم يؤثر في شيء، بل زادت شراسة الإمارة يوماً بعد يوم).

هذه أبرز العوامل التي جعلت من "الإمارة الإسلامية رقماً صعباً في المشهد الأفغاني، والتي من المتوقع أن تأخذ بناصيتها إلى فوز كاسح قريب على الاحتلال الأمريكي، يتبعه سيطرة حقيقية على كامل البلاد.

وسنتوقف في المقال القادم مع بعض هذه العوامل بشيء من التفصيل إن شاء الله.

الحرية للمى خاطر

الأخت الكاتبة الفاضلة أم أسامة لمى خاطر من الأقلام التي يعرفها كل مهموم بقضية فلسطين.. نموذج من أولئك الذين يحقر المرء نفسه حين يراهم!

امرأة تحت احتلالين، إسرائيل وسلطة فتح، وتكتب تحت الخطر والتهديد مقالات لا يجرؤ على بعضها من كان آمنا في سربه خلف البحار..

قد فجعني والله خبر اعتقالها على يد الاحتلال الصهيونية كفجيعتي في أحد من أهل بيتي..

إن الله اصطفى بعض عباده ليكونوا أمثلة وقدوات، ما إن يصيب المرء فتور أو تردد حتى يأتي أمثال هؤلاء ليضربوا المثل في أن الدين أعز وأغلى وأثمن وأنفس من كل ما سواه.. وتلك قوة نفسية عظيمة قادرة بذاتها على تثبيت أناس يرقبونها من بعيد!

وهل القدوة والرمز إلا هذا؟!.. هل القدوة والرمز إلا قوة نفسية آسرة قادرة على غرس المعاني وتحويل القيم من خيال إلى حقيقة؟!.. هل القدوة والرمز إلا انتزاع الإعجاب والإكبار على تباعد المسافات؟!

فرج الله عن أختنا الكريمة أم أسامة، وجمعها بزوجها وأولادها، وآذن بزوال الاحتلالين البغيضين.

محمد إلهامي

